الصّراط

الرقم الـ ١٣٨ رمضان كريم ١٤٤٧

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

عالم رؤية الميت

المبادئ العقائدية الثمانية للماسونية

المهدوية في القرآن

قال السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام:
«من اتّكل على حسن الاختيار من الله ، لم يتمنّ أ نّه في غير الحال التي اختارها الله له.»

المجلسي، «بحار الانوار»، ج ٤٣، ص ٣٥١.

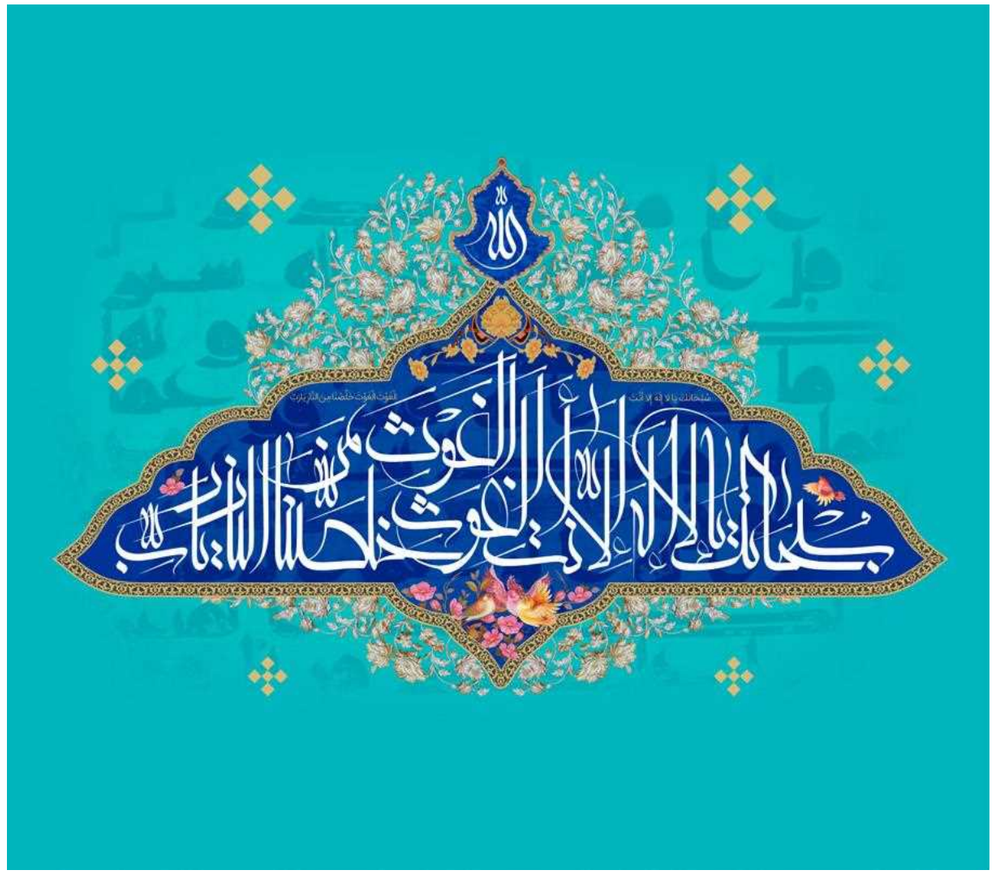

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهـرس

منوعـــات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤
عوالم الإنسان ومنازله: عالم رؤية الميت / ٦
الشعر والأدب: كريم آل البيت عليهم السلام / ٨
الأسئلة والأجوبة: موقف الشيعة من تحريف القرآن / ٩
تقديم الكتاب: الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية / ١٣

الدراسات الثقافية

الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة: الحضاره في الماضي و الحاضر / ١٤
بين احقاد التبشير وضلال الاستشراق - الاستشراق وأضاليله في النيل من الفكر الاسلامي: مع دائرة المعارف السوفيتية / ١٧
خلف كواليس الفضاء الافتراضي: خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: تحمل المسؤولية / ١٩
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية: المبادئ العقائدية الثمانية للماسونية... / ٢١
الأسرة المهدوية - الأسرة وقضايا الزواج: آثار النزاع في الأسرة / ٢٤

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة: رياضات النفس وفعل الأعاجيب / ٢٦
التعاليم المهدوية - أسس الانتظار ووظائفه: وجهات النظر المختلفة حول المهدوية والانتظار / ٢٨
إلى اللامتناهي: مراتب المعرفة - القسم الثاني / ٣١
الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف و مستقبل العالم: المهدوية في القرآن / ٣٥
تكاليف الأنام في غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف: تجديد البيعة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف / ٣٧

الحيــاة الإيمانيــة

المستبصرون: أصغر عليّ شاه / ٤٠
الحقوق الاجتماعيه في الاسلام: حقّ الكرامة و حقّ التعليم / ٤٢
على مائدة الكتاب والسنة: أدلّة القائلين بتحريم البناء على القبور / ٤٤
حلية المتّقين: فضيلة التجمل و التزين / ٥٠
الولد و الوالد: الوأد / ٥١

الدراسات الشيعية

الشيعة في موكب التاريخ - تاريخ الشيعة و عقيدتهم: رؤية الله في ضوء الكتاب والسّنة والعقل - القسم الثاني / ٥٢
المقام الغيبي في الامامة: الامامة فى القرآن الكريم - القسم الرابع / ٥٤

كيف تبخرت جثامين آلاف البشر في غزة؟

كان من المفترض أن تجوب جنازته المهيبة أروقة المدينة المدمّرة، المدينة نفسها التي كان صوته يطوف في ليلها عزاء لأهلها في أحلك ساعات الحرب. وكان الغزيون يتمنّون لو حملوا نعشه على أكتافهم، أو لو شيّعوه إلى قبرٍ بسيط ليكون وجهتهم، ولو وُضع فوق مثواه شاهدٌ يقول:

لكن شيئا من ذلك لم يحدث، ٦ قنابل انهالت على مكان وجود الملثم مع عائلته، لم تترك من جسده أثرا، لقد تلاشت جثة الملثم تماما، هذا ما كشفته مصادر عسكرية خاصة للجزيرة نت.

لم يكن جسد أبو عبيدة الحالة الأولى التي يقول المختصون بتبخرها، فتقديرات الدفاع المدني، التي كشفها للجزيرة نت، تشير إلى اختفاء جثامين أكثر من ٣٠٠٠ غزي.

ويوجد من عاين ظاهرة تبخر الجثامين في غزة وجاهيا، حيث يستعيد محمود بصل، أحد عناصر الدفاع المدني، حادثة استهداف مقرهم في حي التفاح في ديسمبر ٢٠٢٣، ويقول لـ«الجزيرة نت»: **كنّا ٨ أشخاص، سقط صاروخان مباشران علينا، استشهد الجميع، نجوت أنا، لكن اثنين من زملائنا لم نجد لهما أي أثر سوى فروتي رأسيهما.**

ويكمل: **لقد بخّرهما الصاروخ على الفور حيث سقط عليهما بشكل مباشر.**

أثر بعد عين

وتؤكد شهادات المسعفين في الميدان، للجزيرة نت، وجود أنواع من القنابل والصواريخ تحيل البشر رمادا، يقول بصل **تأتينا إشارة من الناجين من الاستهدافات بأن الشقة تحوي عددا محددا من الأشخاص، وحين نبدأ الانتشال، نجد جزءا منهم ويظل الباقون بلا أثر.**

شهدت الجزيرة نت على أحد مواقع عمليات الانتشال التي تقوم بها فرق الدفاع المدني والصليب الأحمر، ضمن عمليات البحث عن الشهداء تحت الأنقاض التي تقوم بها في محافظة غزة حاليا، انتشالٌ من منزل عائلة خضرة في حي الشيخ رضوان شمالي غزة، كانت المهمة تقتصر فيه على البحث عن ٥ مفقودين تحت الأنقاض، ثم بعد البحث ليومٍ كامل لم يُعثر إلا على واحد منهم فقط، أما الجثامين الأربعة الأخرى فلم يجدوا منها عظمةً واحدة، كما قالت الفرق لأفراد العائلة الذين حددوا بالضبط مكان وجود ذويهم قبل استهدافهم.

تحدثت مراسلة الجزيرة نت مع م.د. أحد عناصر الأدلة الجنائية في المكان، الذي أكّد لنا أن هذه ليست المرة الأولى التي تختفي فيها جثامين الشهداء. يقول م.د. في مخيم الشاطئ:

قبل شهور استشهد ١٧ شخصا في إحدى الشقق، ولم يُعثر على جثمان أي منهم، وفي منزل آخر لعائلة عوض في حي الشيخ رضوان، عثر على ١٢ شهيدا فقط، من أصل ٤٥ شهيدا، والبقية بلا أي أثر.

في مسرح الانتشال، يبدو الانتظار على أمل العثور على أي أثر سيد الموقف لدى ذوي الضحايا، الذين تبدو وجوههم مثقلة بالوجوم، وعيونهم لا تكفّ عن التحديق بالحفّار وهو يقلب الأنقاض بحثا عن جمجمة، أو قطعة ثوب، أو أي أثر يربطهم بأحبائهم. بالكاد بدأوا بتقبّل فقد أبنائهم، لكن صدمة ألا يبقى لهم أي أثر يكرمونه بعد رحيلهم أكبر من أن تتحمله القلوب، وتضعهم أمام صدمة مضاعفة، إذ لم يكتفِ الاحتلال بإبادة حياتهم، بل أذاب أجساد أبنائهم بعد الموت.

قنابل جديدة

وفي خضم هذا الصمت، ينبثق تساؤل واحد يسكن المكان كله: أين اختفت جثامين أبنائنا؟ وكيف تلاشت؟

وفي محاولة لفهم هذه الظاهرة، حملت الجزيرة نت هذا السؤال إلى أحد خبراء ومهندسي المتفجرات، الذي عاين منذ الأسابيع الأولى للحرب مواقع الاستهداف التي سُجّل فيها اختفاء كامل للجثامين.

يقول الخبير، الذي فضّل عدم ذكر اسمه، للجزيرة نت، إن ما يواجهه الأهالي في مواقع الاستهداف ليس لغزا غامضا، بقدر ما هو نتيجة مباشرة لاستخدام أنواع محددة من القنابل ذات التأثير الحراري والضغطي الهائل.

ويوضح المصدر أن إسرائيل استخدمت في غزة ذخائر أمريكية الصنع مثل MK-84 و BLU-109 الخارقة للتحصينات، إضافة إلى قنابل دقيقة التوجيه من طراز GBU-31 و-GBU 32 و38-GBU و39-GBU، وهي ذخائر صُمِّمت أساسا لتدمير المواقع العسكرية المحصّنة والأنفاق والمباني الخرسانية الضخمة، لا لاستهداف منازل يسكنها مدنيون.

ويقول خبير المتفجرات إن قتل إنسان أعزل لا يحتاج أكثر من نصف كيلوغرام من المواد المتفجرة، لكن القنابل المستخدمة في هذه الاستهدافات تحمل كميات هائلة قد تصل إلى ٢٥٠ كيلوغراما أو أكثر.

ويوضح: عندما تسقط على شقة سكنية أو منزل صغير، فإن مزيج المتفجرات، مثل التريتونال والـ PBX، إلى جانب بودرة الألمنيوم المؤكسدة، يُطلق حرارة وضغطا هائلين يصلان إلى ٣٠٠٠ درجة مئوية، وربما تتجاوز ٥٠٠٠، مما يؤدي خلال جزء من الثانية إلى تحويل الجسد داخل الدائرة الأولى من مركز الانفجار إلى رماد أو أجزاء متناهية الصغر، أما من يبعدون بضعة أمتار فيتعرضون لتمزق وتشظٍ شديد يجعل العثور على جثثهم شبه مستحيل.

وبذلك يصبح ما يُعرف بـ الاختفاء نتيجة مباشرة لتأثير هذه الذخائر التي تُحيل الإنسان إلى ما يشبه الغبار.

جريمة غير مسبوقة

إنها سابقة خطِرة في تاريخ النزاعات المسلحة المعاصرة هكذا علّق المكتب الإعلامي الحكومي، للجزيرة نت، على حالات اختفاء الجثامين، حيث قال: **إن استخدام هذه الذخائر شديدة الانفجار في مناطق مكتظة بالسكان المدنيين ترقى لجريمة حرب، ويضع المجتمع الدولي أمام اختبار لمصداقيته القانونية والأخلاقية**".

ويضيف المكتب على لسان مديره **إسماعيل الثوابتة** أن هذا النمط من القتل الجماعي يشكل انتهاكا صارخا لمبادئ القانون الدولي الإنساني، وعلى رأسها مبدأ التمييز ومبدأ التناسب، وحظر استخدام القوة المفرطة، وهو مؤشر إضافي على ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية بحق المدنيين المحميين، ما يستدعي مراجعة شاملة للآليات القانونية الدولية وتعزيز إجراءات المساءلة والردع.

وطالب الثوابتة بتشكيل لجان تحقيق دولية مستقلة لتوثيق الجرائم وتوصيفها علميا وقانونيا، وتفعيل أدوات المساءلة الدولية دون ازدواجية أو انتقائية.

المصدر: الجزيرة.

يسأل البعض إنه ارغب كثيراً أن أرى والدي في المنام في رؤيا صادقة، وقد دعوت الله مراراً ولكني لم أوفق لذلك رغم إنهما كانا من الصالحين فما هو سر ذلك؟

هناك بعض الروايات قد وردت ذكرها المحدث **الشيخ عباس القمي** في «مفاتيح الجنان»، عن **الكفعمي** في «المصباح» والمحدث **الفيض** في «خلاصة الأذكار»، وجدت في بعض كتب الإمامية أن من أراد أن يرى في منامه أحد الأنبياء والأئمةعليهم السلام أو أحد الناس أو والديه فليقرأ سورة الشمس والليل والقدر وسورة الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتين، ثم يقرأ سورة الإخلاص مائة مرة، ويصلي على النبي وآلهعليهم السلام مائة مرة، ولينم على وضوء، وعلى جانبه الأيمن، فإنه يرى في المنام من شاء إن شاء الله، ويتكلم معه إن شاء الله، ما شاء، ووجدت في نسخة أخرى أنه يعمل ما ذكر سبع ليالي بعدما يدعو بهذا الدعاء:

«اللّهُمّ أنْتَ الْحَيُّ الّذِي لا يُوصَفُ وَ الْإيمانُ يُعْرَفُ مِنْهُ مِنْكَ بَدَتِ الْأشْياءُ وَ إلَيْكَ تعُودُ فَما أقبَلَ مِنْها كُنْتَ مَلْجَاهُ وَ ما أدْبَرَ مِنْها لَمْ يَكُنْ لَهُ مَلْجَأً و لا مَنْجاً مِنْكَ إلّا إلَيْكَ فَأسْألُكَ بِلا إلهَ إلّا أنْتَ وَ أسْألُكَ بِبِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ وَ بِحَقّ حَبيبِكَ مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ سَيّدِ النّبيّينَ وَ بحَقّ عَلِيّ خَيْرِ الْوَصِيّينَ وَ بحَقّ فاطِمَةَ سَيّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ وَ بِحَقّ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ اللّذَيْنِ جَعَلْتَهُما سَيّدَيْ شَبابِ أهْلِ الْجَنّةِ عَلَيْهِمْ السّلامُ أنْ تُصَلّيَ عَلى مُحَمّدٍ وَ آلِ مُحَمّدٍ وَ أنْ تُرَيّنِي مَيّتي في الْحالِ الّتي هُوَ فِيها»[1]

ولابدّ من التنويه بنقطة يجدر الالتفات إليها، وهي أن الرؤيا الصادقة فضلًا عن اقسام الرؤيا الأخرى ليست يعول عليها كمنبع ومصدر شرعي يستند إليه ولا حجة شرعية، وإنما الرؤيا الصادقة كَمَا وَرَدَ في الروايات دورها كمنبه إلى تطبيق نفس الموازين التي يتلقاها الانسان من الكتاب وسنة المعصومين، وعلى ضوء الكتاب وسنة النبي وأهل بيته يستهدي الانسان في طريقه، والرؤيا تنبهه إلى بعض البيئات الموضوعية التي ربما يكون غافل عنها سينتبه إلى آليات وأدوات هي في نفسها حجة شرعية يلتفت إلى الموضوع المناسب والحجة المناسبة، فأن الرؤيا مؤداها فقط تنبيه وهذا لابُدَّ للأخوة المؤمنين أن يلتفتوا إليه.

يعني هي مؤيدات في الواقع وليست أصول، يقول البعض تحدث لدي حالات هي أنني أتذكر وقوع بعض الحوادث أو رؤية بعض الأشخاص، أنني قد رأيت ذلك الشخص أو تلك الواقعة في أحلام نسيتها ولم أتذكرها إلا عندما رأيت مصاديقها.

هذه تحدث للكثير أن لم يكن اغلب الناس فأن روح الانسان لا سيما المؤمن تصاعد في منامه، وكما ورد في جملة من الروايات إلى جملة من السموات، وعلى أية حال يرى حينئذ ويفتح له أن يرى جملة بعض ما قد قدر له أو قضى في قضاء الله وقدره ومن ثم يذر في ذاكرة الانسان وكما يعبر في الثقافة الحديثة بالعقل الباطن للإنسان، يزرق تلك المعلومة وبالتالي يزود بها الانسان ليكون على استهداء ويقظة مما يجيء له من أمور، وهذا نوع من العناية من الله عزّ وجلّ.

وبالنسبة لنسيانها، فلا يمكن يقول أن هنالك حكمة ومصلحة في نسيان هذه الرؤى وهذه الأحلام. بل هذا بالاصطلاح العلمي العقلي لايقال له نسيان، إنما هو نسيان التفاصيل ولكن أصل المعلومة بنحو مدمج مطوي في ذاكرة الانسان وفي عقل الانسان في أعماق ذاكرته أو ما في وراء الحواس التفصيلية، قد يقال عنه في العلوم الروحية الحديثة في العقل الباطن أو الذاكرة الباطنة الآن الكثير من الناس لديهم ذكريات وعلوم وذاكرة علوم وذاكرة تجارب ومهنة وماشابه ذلك، لكنهم لا يستحضرون هذا الأمر بالتفصيل ولكنه عند الحاجة وعند الارتطام بالبيئات المختلفة في الحياة ينتزعون تلك المعلومات من باطن ذاكرتهم الإجمالية بنحو مطوي اندماجي علمي في ذاكرتهم العلمية، ولكن المعلومات وجودها في الواقع على نمطين نمط اندماجي إجمالي وربما نمط تفصيلي.

الهامش:

١. «مفاتيح الجنان»، الباقيات الصالحات.

المصدر: السند، الشيخ محمّد، «عوالم الإنسان و منازله، العقل العملي و قضاياه»، بيروت، دار الاميرة، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠م.

كريم آل البيت عليهم السلام

في ذكرى ميلاد كريم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدنا الامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم ١٥ من شهر رمضان المبارك عام ٣ للهجرة اليكم قصيدة في هذه المناسبة بقلم **حميد حلمي البغدادي**.

بَدرٌ أطلَّ على الخلائقِ أمجَدا
مِن بيتِ أحمدَ ساجداً مُتَعبّدا
في النصفِ من رمضانَ طابَ وِلادةً
سبطُ النبيِّ مُهلِّلاً ومُوَحِّدا
في جُودِ شهرِ الخيرِ جاءَ المجتبى
ليكونَ جُوداً للصّحابِ وللعِدى
شهرٌ بِهِ فَتحَ الوَدُودُ مَضيفَهُ
للصائمينَ المخبتينَ تَوَدُّدَا
آلُ النبُوةِ كبَّوا لقُدُومِهِ
إبْناً أضاءَ البيتَ نوراً مُسْعِدا
أسمَوهُ بالحسَنِ الزكيِّ مثابَةً
للمَكرُماتِ وللتسامُحِ والهُدى
هو أوّلُ الإسباطِ شِبلُ محمدٍ
وكريمُ آلِ البيتِ يُبلَغُ مَقْصَدا
ما رَدَّ سائِلَهُ وإنْ لَو نالَهُ
مِن بعضِهم بُغضٌ غليظٌ أو عِدا
هوَ حِصنُ من رامَ الطُّغاةُ فناءَهُمْ
هوَ صائنُ الإسلامِ يومَ تُهُدِّدا
دِرعُ الإمامةِ والولايةِ طاهرٌ
من طُهْرِ فاطمَ والوصيِّ المفتدى
رَجُلُ الكرامة والبطولةَ صابرٌ
ورثَ النبِيَّ مُصابِراً ومُجاهِدا
أنجَبْتَ يا شهرَ الفضيلةِ فرقَداً
من آلِ بيتِ المالِكينَ السُؤدَدا
حسَنُ المِحَيّا قائدٌ مُتمرّسٌ
وملاذُ شيعتِهِ إذِ الحِقدُ اعتَدى
ثاني الأئمّةِ والأمانُ لأمّةٍ
بُليَتْ بشرِّ الحاكمينَ مُفَسِّدا
هو والحسينُ أخوهُ عِطرُ محمدٍ
سِبطانِ قد أعلَى مَقامَهما الفِدا
لا يَجهلُ الحسنَ الزَكيَّ مُطاوِعٌ
فهو الإمامُ الحقُّ شانئُهُ سُدَى
أعظِمْ بِهِ سِبْطاً شهيداً زاهداً
ومُربّياً للصالحِينَ مُسَدِّدا
هو ذا إمامُ الجُودِ لم يقبِضْ يداً
يوماً ولم يَجمَعْ حُطاماً بائدا
هو ذا وسيمُ بَني النُبوَّةِ راهبٌ
في الخاشِعينَ وباسِلٌ صَحِبَ الرَدَ
فتَذَكّرِ السِّبطَ الإمامَ مُقاوِماً
في يوم مولدِهِ السعيد مُخلِّدا
صَلُّوا على طه الأمينِ مودّةً
وعلى الأئمةِ يَعشقُونَ مُحمّدا

موقف الشيعة من تحريف القرآن

السؤال:
هل تعتقد الشيعة أن بعض الآيات القرآنية ام حذفها، وأن بعض الآيات تم تغيرها من قبل أبو بكر وعمر؟

الجواب:
سلامة القرآن من التحريف هي إحدى المسائل العقائديّة التي شدّد الكثير من علماء الشيعة على ضرورتها، كما أنها مورد اتفاق عموم المسلمين، ومعناه أن نعتقد بأنّ القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، من دون زيادة أو نقيصة أو تغيير.

وقد استدل المفسرون والمتكلمون الشيعة بعدّة أدلّة قرآنيّة وروائيّة وعقليّة على ردّ ادعاء القائلين بالتحريف، وبرأي مفسرِي القرآن الكريم والفقهاء الشيعة فإن القرآن الكريم بترتيبه الحالي هو الذي كان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد نسب بعض أهل السنة إلى الشيعة القول بالتحريف، ومن هؤلاء أبو الحسين الخياط المعتزلي وأبو علي الجبائي. ثم تجدّد الإتهام بعد تأليف المحدث النوري كتابه المسمّى بـ«فصل الخطاب»، الذي ردّ عليه علماء الشيعة بردود عديدة.

ومن أهم الدلائل النقلية الدالّة على عدم تحريف القرآن الكريم هي: حديث الثقلين، والروايات الواردة في ثواب قراءة السور القرآنية وخواصها، والروايات التي يُحسم بها الخلاف في المسائل الدينية، وآيات التحدي.

أقسام التحريف

يوجد هناك عدّة أقسام لتحريف القرآن، وهي:

التحريف المعنوي: وهو المعنى اللغوي للتحريف نفسه، ويُراد به: تفسير القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه. وهو ما أشارت إليه الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «...**وكان من نبذهم الكتاب: أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يُحزنهم تركهم للرعاية...**»[1]

التحريف اللفظي: وهو التغيير والقلب، وهو المعنى الاصطلاحي نفسه. وله مصاديق مختلفة.[2]

وأهم مصاديقه:

تحريف القرآن بالنقص منه، تحريف القرآن بالزيادة عليه.

آراء علماء الشيعة الإماميّة في المسألة

من المتسالم لدى علماء الشيعة الإماميّة عدم وقوع التحريف في القرآن لا بالزيادة ولا بالنقيصة، وأنّ الموجود ما بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على الرسول الأكرمﷺ، وقد صرّح بذلك كثير من كبار أعلام الشيعة الإماميّة، منهم:

الشيخ محمّد بن بابويه الصدوق القمي (ت: ٣٨١هـ.ق.): **اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمّدﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك. ومن نسب إلينا أنّا نقول: إنّه أكثر من ذلك، فهو كاذب.**[٣]

السيد المرتضى علم الهدى (ت: ٤٣٦هـ.ق.): **إنّ العلم بصحّة نقل القرآن، كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت، والدواعي توافرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في ما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية. وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كلّ شيء اختُلِفَ فيه،من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً، مع العناية الصادقة، والضبط الشديد.**[٤]

الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ.ق.): **وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه [أي القرآن] فممّا لا يليق به أيضاً،لأنّ الزيادة فيه مُجمَع على بطلانها، والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا.**[٥]

الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ.ق.): **الكلام في زيادة القرآن ونقصانه؛ فإنّه لا يليق بالتفسير. فأمّا الزيادة فيه: فمجمع على بطلانه. وأما النقصان منه: فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامّة أنّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه.**[٦]

الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨هـ.ق.): **لا ريبَ في أنّه محفوظ من النقصان؛ بحفظ الملك الديّان؛ كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر. وما ورد من أخبار النقيصة تَمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولا سيّما ما فيه نقص ثلث القرآن، أو كثير منه، فإنّه لو كان ذلك؛ لتواتر نقله لتوفّر الدواعي عليه، ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله. ثمّ كيف يكون ذلك، وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه.**[٧]

الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت: ١٣٥٢هـ.ق.): **وممّا ألصقوه بالقرآن المجيد: ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب أنّه نُسِبَ إلى الشيعة أنّهم يقولون: إنّ إحراق المصاحف سبب إتلاف سور من القرآن نزلت في فضل عليؑ وأهل بيتهؑ؛ منها: هذه السورة، وذكر كلاماً يضاهي خمساً وعشرين آية في الفواصل، قد لُفِّقَ من فقرات القرآن الكريم على أسلوب آياته، فاسمع ما في ذلك من الغلط، فضلاً عن ركاكة أسلوبه الملفَّق... فيا للعجب من صاحب (دبستان المذاهب) من أين جاء بنسبة هذه الدعوى إلى الشيعة، وفي أيّ كتاب لهم وجدها. أفهكذا يكون النقل في الكتب، ولكن لا عجب، فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب؛ كما في كتاب الملل للشهرستاني، ومقدّمة ابن خلدون، وغير ذلك ممّا كتبه بعض الناس في هذه السنين، والله المستعان.**[٨]

السيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ.ق.): **لا يقول أحد من الإمامية؛ لا قديماً ولا حديثاً: إنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير، فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محقّقيهم متّفقون على أنّه لم ينقص منه.**[٩]

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت: ١٣٧٣هـ.ق.): **والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذّة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإمّا أن تأوّل بنحو من الاعتبار، أو يُضرَب بها الجدار.**[١٠]

السيد عبد الحسين شرف الدين (ت: ١٣٧٧هـ.ق.): **والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنّما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً، ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكلّ حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل؛ تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة.**[١١]

السيد أبو القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣هـ.ق.): **المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظمﷺ؛ وقد صرّح بذلك كثير من الأعلام... وجملة القول: أنّ المشهور بين علماء الشيعة ومحقّقيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف... والحق، بعد هذا كلّه: أنّ التحريف بالمعنى الذي وقع النزاع فيه غير واقع في القرآن أصلاً.**[١٢]

أدلّة صيانة القرآن من التحريف

ذكر الباحثون في علوم القرآن والمفسّرون أدلّة عدّة على صيانة القرآن من التحريف، أبرزها التالي:

الدليل القرآني

١. قوله تعالى: «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.**»[١٣] من أجمع الأوصاف التي يذكرها القرآن لنفسه أنّه ذِكْر لله، فإنّه يذكِّر به تعالى، بما أنّه آية دالّة عليه، حيّة خالدة. وتفيد هذه الآية أنّ الله تعالى هو حافظ هذا القرآن في مرحلتي التنزيل والبقاء، حيث أُطلِقَ الذِّكْر وأُطلِقَ الحِفظ، فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كلّ زيادة ونقيصة وتغيير في اللفظ أو في الترتيب يزيله عن الذِكريّة ويُبطِل كونه ذكراً لله سبحانه بوجه. وقد وُضِعَت كلّ عوامل

التأكيد بعضها إلى جانب بعضها الآخر، لبيان هذه الحقيقة المهمّة والخالدة.[١٤]

٢. قوله تعالى: «**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**»[١٥] العزيز: عديم النظير أو المنيع الممتنع من أن يُغلَب، والمعنى الثاني أنسب، لما يتعقّبه من قوله تعالى: «**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...**» والمدلول هو: أنّه لا تناقض في بياناته، ولا كذب في أخباره، ولا بطلان يتطرّق إلى معارفه وحكمه وشرائعه، ولا يُعارَض ولا يُغيَّر، بإدخال ما ليس منه فيه، أو بتحريف آية من وجه إلى وجه. وكيف لا يكون كذلك؟! وهو منزَّل من حكيم متقِن في فعله، لا يشوب فعله وهن، محمود على الإطلاق. فهذه الآية تنفي أيّ احتمال للتحريف بالزيادة أو التحريف بالنقصان، وتشير إلى أنّ خاصّيّة الحفظ جاءت من داخل القرآن، بفعل تماسك بنيانه.[١٦]

الدليل الروائي

– «روايات الثقلين»:[١٧] ومفاد هذه الروايات: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما، لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.**» ووجه الاستدلال بها: **أنّ القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسّك بالكتاب المنزل، لضياعه على الأمّة، بسبب وقوع التحريف، ولكن وجوب التمسّك بالكتاب باقٍ إلى يوم القيام، لصريح حديث الثقلين، فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً. وقد دلّت هذه الروايات على اقتران العترة بالكتاب، وعلى أنّهما باقيان في الناس إلى يوم القيامة، فلا بدّ من وجود شخص يكون قريناً للكتاب، ولا بدّ من وجود الكتاب ليكون قريناً للعترة، حتى يردا على النبيﷺ الحوض، وليكون التمسّك بهما حفظا للأمّة عن الضلال.**[١٨]

– «روايات التمسّك بالقرآن»:[١٩] حيث توصينا هذه الروايات بالرجوع إلى القرآن عند الفتن والشدائد، وتصف القرآن بأنّه ملاذ حصين. فإذا كان الكتاب نفسه لم يسلم من فتن الزمان، فكيف يمكنه حماية الآخرين من أضرار الفتن؟

– «روايات العرض على القرآن:»[٢٠] وردت روايات عن أهل البيتؑ جاء فيها: «**إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه**»، «**كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**»، «**ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف**»، «**اعرضوها (أي الروايات) على كتاب الله، فما وافق كتاب الله عزّ وجلّ، فخذوه، وما خالف كتاب الله، فردّوه.**»

ويفهم من مجموع هذه الروايات أنّ القرآن هو الميزان الحقّ الذي يعتمد عليه في كشف الحقّ من الباطل والتمييز بينهما. وعليه، فكلّ رواية تشير إلى تحريف القرآن، إذا تعذّر تأويلها وتوجيهها، تكون باطلة وموضوعة ولا اعتبار لها.[٢١]

أمر الأئمّةؑ بقراءة سورة كاملة بعد الفاتحة في الصلاة: فلو كان القرآن محرّفاً، لما صحّ الأمر بالقراءة منه، ولكان الأمر بالقراءة منه لغواً وتكليفاً بغير المقدور للمكلّف. وهذا ما لا يلتزم به القائلون بالتحريف.[٢٢]

نعم، إنّ هذه الروايات لا تنهض بنفي دعوى وقوع نقص في القرآن بسورة كاملة أو أكثر من سورة.

الدليل العقلي

ذكر الباحثون والمحقّقون في مجال علوم القرآن والتفسير عدّة تقريبات للدليل العقلي على صيانة القرآن عن التحريف.[٢٣] وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه التقريبات ليست عقليّة بحتة، لأنّها تتضمّن مقدّمات متسالم عليها بين المسلمين. ومن هذه التقريبات: التقريب التالي، وهو يتألّف من مقدّمات عدّة، هي:

إنّ القرآن كتاب هداية للعالمين.

القرآن كتاب خاتم، كما أنّ الرسولﷺ رسول خاتم.

إذا حرّف القرآن يترتّب على ذلك إضلال الناس.

مقتضى حكمة الله تعالى أن ينزّل كتاباً آخر ويُرسل رسولاً آخر، وهذا يلزم منه: إمّا تكذيب الله سبحانه، لأنّه أخبر بأنّ الرسولﷺ هو خاتم الرسل ورسالته خاتمة الرسالات، وإمّا نسبة الجهل إليه تعالى على فرض اكتشافه ضرورة إرسال نبي آخر ورسالة أخرى.

النتيجة: **إذن، القرآن لم يحرّف.**

الإعجاز القرآني

ويقوم هذا الدليل على مقدّمات عدّة،[٢٤] هي: ثبوت التحدّي بالقرآن تاريخياً في عصر الرسالة والدعوة.

القرآن الموجود بين أيدينا هو في الجملة القرآن الموجود في عصر الدعوة.

مواصفات القرآن الموجود بين أيدينا هي نفسها المواصفات المنقولة عن القرآن الموجود في عصر الدعوة، لجهة التحدّي بالوجوه الإعجازية المختلفة.

لو كان القرآن الموجود بين أيدينا محرّفاً، لما انطبقت عليه هذه الصفات والوجوه الإعجازية.

النتيجة: **إذن القرآن لم يحرّف.**

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الدليل لا ينهض بمفرده في إثبات عدم وقوع التحريف بالنقيصة، وإن كان يثبت عدم وقوع التحريف بالزيادة. وعليه، يمكن أن يُتمَّم هذا الدليل بضميمة ما ثبتت قرآنيّته من الآيات الدالّة على صيانة القرآن عن التحريف مطلقاً.

الشواهد التاريخية

يوجد شواهد تاريخية كثيرة تدلّ بوضوح على صيانة القرآن الكريم عن التحريف،[٢٥] منها:

من ضروريات التاريخ: أنّ رسول الله ﷺ جاء قبل أربعة عشر قرناً تقريباً وانتهض للدعوة، وآمن به أمّة من العرب وغيرهم، وأنّه جاء بكتاب هو القرآن، وينسبه إلى ربّه، متضمّن لجمل المعارف، وكلّيّات الشريعة التي كان يدعو إليها، وكان يتحدّى به، ويعدّه آية لنبوته، وأنّ القرآن الموجود اليوم بأيدينا هو القرآن الذي جاء به وقرأه على الناس المعاصرين له.

توافر الدواعي على نقله وحراسته وصيانته، لأنّ القرآن معجزة النبوة ودليل الرسالة الخاتمة، ولا سيما في وجه أصحاب البدع والتحريف، الذين يترصّدون شرّاً بالإسلام والقرآن.

شدّة عناية المسلمين بحفظ القرآن وتلاوته، وضبطهم الشديد في هذا الصدد.

لو كان القرآن محرّفاً، لاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله.

وجود بعض الأخطاء في رسم المصحف حتى يومنا هذا، مع التفات المسلمين لها بعد توحيد المصاحف، يدل على شدّة عنايتهم بحفظ القرآن وعدم المساس به.

الهوامش:

١. الكليني، «الكافي»، ج ٨، كتاب الروضة، ح ١٦، ص ٥٣.
٢. الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ١٩٧-١٩٨؛ معرفة، «صيانة القرآن الكريم من التحريف»، صص ١٣-١٦.
٣. الشيخ الصدوق، «الاعتقادات في دين الإماميّة»، تحقيق عصام عبد السيد، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.ق، ص ٨٤.
٤. الطبرسي، «مجمع البيان في تفسير القرآن»، ج ١، ص ٤٣.
٥. الشيخ الطوسي، «التبيان في تفسير القرآن»، ج ١، ص ٣.
٦. الطبرسي، «مجمع البيان في تفسير القرآن»، ج ١، صص ٤٢-٤٣.
٧. كاشف الغطاء، جعفر، «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء»، تحقيق ونشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤٢٢هـ.، ج ٣، صص ٤٥٣-٤٥٤.
٨. البلاغي، «آلاء الرحمن في تفسير القرآن»، ج ١، صص ٢٤-٢٥.
٩. الأمين، محسن، «أعيان الشيعة»، تحقيق وتخريج حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، لات، ج ١، ص ٤١.
١٠. كاشف الغطاء، محمّد حسين، «أصل الشيعة وأصولها»، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسّسة الإمام علي عليه السلام، مطبعة ستاره، ١٤١٥هـ.، ص ٢٢٠.
١١. شرف الدين، عبد الحسين، «الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة»، نشر قسم الإعلام الخارجي لمؤسّسة البعثة، لات، ص ١٧٥.
١٢. السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ٢٠٠-٢٠٧.
١٣. سورة الحجر، الآية ٩.
١٤. انظر: السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٢، ص ١٠٦؛ السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ٢٠٧-٢٠٩.
١٥. سورة فصّلت، الآيتان ٤١-٤٢.
١٦. انظر: السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٧، صص ٣٩٨-٣٩٩.
١٧. تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الروايات متواترة تواتراً معنوياً بين المسلمين، وهي منقولة في كتب السنّة والشيعة. انظر: الصفّار، «بصائر الدرجات»، ج ٨، باب ١٧ في قول رسول الله «إنّي تارك فيكم الثقلين»، ح ١-٦، ص٤٣٣-٤٣٤، ابن حنبل، «مسند أحمد»، ج ٣، ص ١٤؛ النيسابوري، «المستدرك على الصحيحين»، ج ٣، ص ١٤٨؛ المتّقي الهندي، «كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال»، ج ١، ح ٩٤٣-٩٥٥، صص ١٨٥-١٨٧.
١٨. انظر: السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، ص ٢١١؛ السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٢، ص ١٠٧.
١٩. انظر: الكليني، «الكافي»، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب في تمثّل القرآن وشفاعته لأهله، ح ١-١٤، صص ٥٩٨-٦٠٢.
٢٠. انظر: الكليني، «الكافي»، ج ١، المقدّمة، ص٨، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب، ح ١-٥، ص ٦٩.
٢١. انظر: السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٢، صص ١٠٧-١٠٨.
٢٢. انظر: السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ٢١٤-٢١٥.
٢٣. انظر: المحمّدي، «سلامة القرآن من التحريف»، ص ٣٧، السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ٤٣-٤٥.
٢٤. انظر: السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٢، صص ١٠٤-١٠٧.
٢٥. انظر: الطبرسي، «مجمع البيان في تفسير القرآن»، ج ١، ص ٤٣، السيد الطباطبائي، «الميزان في تفسير القرآن»، ج ١٢، ص ١٠٤؛ السيد الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، صص ٢٠٠-٢٠٧، المحمّدي، «سلامة القرآن من التحريف»، صص ٣٤-٣٦.

المصدر: الموسوعة الإلكترونية لمدرسة أهل البيت، ويكي شيعة؛ الموقع www. ar.wikishia.net

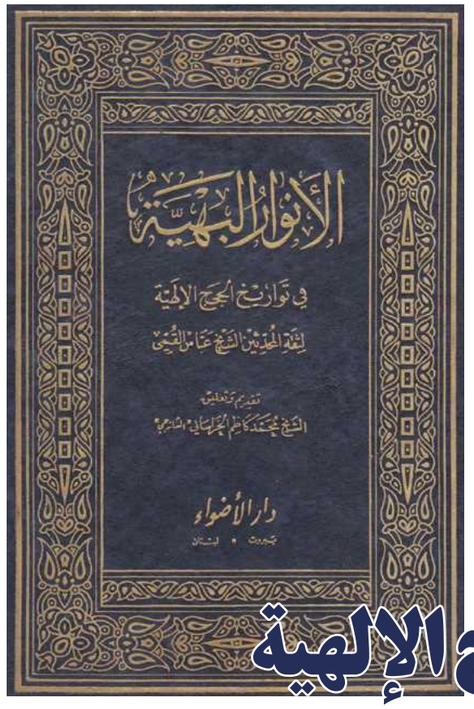

الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية

الشيخ عباس القمى (١٣٥٩-١٢٩٤هـ.)، المشهور بـ «المحدّث القمى»، من أبرز المحدّثين والمؤرّخين الشيعة فى القرن الرابع عشر الهجرى. وُلد فى قم، وبعد إكمال الدراسات الأوليّة هاجر إلى النجف الأشرف وتتلمذ على أيدى أساتذة كبار مثل الآية الميرزا النورى. اشتهر الشيخ القمى بإتقانه علوم الحديث والتاريخ والرجال، وخلّف مؤلّفات قيّمة من أبرزها «مفاتيح الجنان» (مجموعة من الأدعية والزيارات) و «منتهى الآمال» (فى تاريخ حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام). عُرِف بورعه وإخلاصه ودقّته العلمية.

حول الكتاب

«الأنوار البهية فى تواريخ الحجج الإلهية» من الآثار التاريخية-الحديثية المهمّة للشيخ عباس القمى، يتناول حياة وتاريخ الأئمّة الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام. كُتِبَ الكتاب باللغة العربية، وفيه يعرض المؤلّف مستنداً إلى مصادر معتبرة شيعية وسنيّة، تاريخ ميلاد واستشهاد وفضائل وأهمّ الأحداث فى حياة الأئمّة عليهم السلام بصورة موجزة وموثّقة.

أهميّة وضرورة الكتاب

١. **الاستناد إلى مصادر معتبرة:** اعتمد الشيخ القمى فى هذا الكتاب على مصادر أصلية شيعية وسنيّة مما يزيد من اعتباره العلمى.

٢. **الإيجاز والشُمولية:** على الرغم من الإختصار، فإنه يغطى أهمّ الأحداث والفضائل الخاصة بالأئمّة عليهم السلام.

٣. **الاستعمال لعامّة الناس:** سهولة لغته وتنظيمه جعلته مناسباً للباحثين وعامّة الناس على حدّ سواء.

٤. **بيان مكانة الأئمّة عليهم السلام:** يوضح الكتاب دور الأئمّة بوصفهم «حجج الله» وبيان ضرورة معرفتهم كمرشدين دينيّين.

يقسّم الكتاب إلى أربعة عشر قسمًا رئيسيًا، يختصّ كلّ قسم بإمام من الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ يتناول كلّ فصل موضوعات مثل: تاريخ الميلاد، الأسماء والألقاب، الفضائل، أهمّ أحداث الحياة، ووقتية الاستشهاد.

الحضاره في الماضي و الحاضر

لقد انتجت البشرية منذ غابر الازمان و حتى يومنا هذا اعمالا و اثارا مختلفة؛ فقد بنت حضارات عريقة دامت الاف السنين على الارض واصبحت مصدر استلهام للحضارات التي تلتها. فالامم الكبيرة صاحبة حضارات كبيرة، الحضارات التي يؤشر مجمل العلاقات الاجتماعية و المعمارية و الموسيقى و التكوين التعليمي و النسيج الاجتماعي و العلاقات الانسانية فهيا على روعتها و بهائها و جلالها.

و لا شك كانت ثمة حضارات لم يتبق منها الان سوى عدد محدود من الاثار او التجليات الباهتة. فحضارات انشاها اليونانيون القدامى والصينيون والايرانيون والمسلمون في يوم من الايام، كانت تختلف من حيث الاوجه المادية للحياة و النظم السائدة في تلك المنظومات، لكنها بلا شك كانت تلبي بشكل من الاشكال احتياجات انسان عصرها في جميع المجالات بما فيها العمارة و اللباس و الحكم و التعليم والمسائل الاخرى. لكن يجب معرفة ما اذا كان عامل مشترك يربط اجزاء ومكونات حضارة ما ام لا رغم التباينات الصورية في هيئتها الظاهرة.

و ربما يبدو في اول نظرة ان كلا من هذه الاوجه في الاقتصاد والسياسة والعمارة وبناء المدن واللباس والعلاقات الانسانية لا تتناسب مع بعضها البعض، لكن عندما نمعن النظر في الحضارة المعاصرة، نرى ببساطة بان جميع اوجهها سواء نظام التعليم والنسيج الاقتصادي وكيفية ادارة الامور والبنية المعمارية الخاصة وحتى اعمالها الادبية والفنية تتناغم تماما مع الظروف الحالية.

إن القاء نظرة على الابنية المتبقية من عصر الحضارة الاسلامية يظهر ان هذه المباني ورغم انها كانت منتشرة في اقاصي العالم في تلك الحقبة وغطت مناطق شاسعة ومترامية الاطراف بدءا من شمل افريقيا وانتهاء بطشقند، الا ان العناصر الرئيسية لتلك

المجموعة تظهر وجود وجه مشترك يمكن تمييزه وتشخيصه فيها كلها. فالنقوش الاسلامية والخطوط المنقوشة على الجدران والابواب والقبب والاسقف المقوسة في جميع المساجد الكبيرة والبلاطات اللازوردية اللون تحكي كلها عن فكر ثابت تشكل العمارة بنيتها الرئيسية. ان القبب الرفيعة للمساجد تحفظ دوما ذكر السماء ويجد المعمار وصانع البناء، فيها كل الطيبات والمحاسن والجمال. وكأن عيناه تتتبعان النور والضياء والطهارة والخير حتى اعالي السماء ويحفظ بعد ذلك ذكرى وذكريات كل هذا الضياء والانارة على هيئة قبة وبناية. انه يستعرض اللون اللازوردي للقبة الزرقاء من خلال تكسية العتبات والمآذن بالبلاطات ويسعى من خلال تماثل الخطوط والزخارف الجصية اظهار التعادل والنظام السائد في مجمل العالم والمنبعث عن الرؤية الحصيفة لخالقه.

فالعمارة الاسلامية تمرر الضيف عبر مجاز يعرف بالممر الداخلي قبل ان توصله الى القسم الداخلي للمنزل في خطوة لحفظ الحريم من نظرات غير المحارم. ان الجدران الشاهقة للمبنى تحفظ كل القيم التي ينوي حمايتها. والفناء الواسع للبيت مؤشر على رحابة صدره. إن هذا الجهد الحثيث للحفاظ على القيم يمتد الى حيث ان مقرعة الباب، تخبر بجنس الطارق، فالمقرعة الضخمة والكبيرة بصوتها الجهوري تدل على حضور رجل خلف الباب والمقرعة اللطيفة بصوتها الناعم تدلل على وجود امراة تنادي صاحبة المنزل للحضور الى الباب. وهذا التناسب والتناسق يمكن مشاهدته في ارجاء هذه البلاد الشاسعة. وكأن الحفاظ على منظومة القيم التي اقرتها السماء اهم للمعمار مما يدعو هو اليه. لذلك فانه يرى نفسه ملزما بحفظ القيم ويعمل وفق ذلك على دمج القيم والقناعات بالظروف الجغرافية والمناخية الخاصة ببراعة ومهارة، ويوفر امكانية حماية كل ما يحبذه. وفي هذا الخضم، فان الظروف الجوية الصحراوية في يزد والطقس المعتدل في اصفهان والبرد القارس في اذربايجان، لا يثبط اطلاقا من عزيمة وفكرة المعمار وانطباعه عن العالم والانسان.

ومن جانب اخر فان القينا نظرة على لباس هذا الانسان نجد ان الفكر السائد في البنية المعمارية، يسود هذا الجانب ايضا. وقد تفرض الجبال الباردة والشاهقة في الغرب والشواطئ الدافئة في الجنوب ظروفا خاصة من حيث اللباس والزي، لكن التعايش السلمي بين الظروف المناخية ومنظومة القيم اوجدت لدى هذا الانسان نظاما ثابتا ل «اللباس». لانه يستر ما يعتبره عزيزا عليه عن اعين الغرباء ويمتثل للكلام القدسي لبارئ الارض والسماء قبل ان يستجيب لتمنياته الشخصية، ويقدم حكم الله على رايه الشخصي. ان القاء نظرة خاطفة على مضامين الاعمال الادبية لعظماء الادب الفارسي في الكلام المنظوم والمنثور، يظهر رؤية هذا الانسان – الانسان المسلم – الى العالم والانسان والله. وهو ما يبني على اساسه عمارته ولباسه وباقي شؤونه.

لقد كنت مَلَاكا وكان مكاني الفردوس الاعلى لكن ادم جاء بي في هذه الدنيا الزائلة

يا له من يوم سعيد ان ارحل من هذا المنزل (الدنيا) وان اطير واخفق بجناحي في حيه ومنطقته

لقد اكتابت من زنزانة الاسكندر لارحل واذهب الى ملك سليمان

اسمع من الناي عندما يحكي ويرويويشكو ويئن من الفراق

وعندما قطعوني من مزارع الناي

اطلق الرجال والنساء الانين من نفيري

ولا يفرق ان كان الكلام صادر من اي من الشعراء، **حافظ** أم **سعدي** أم **مولوي**؟ لانه كلام واحد ليس الا:

انسان يعيش امل الطيران والتحليق الى المنزل المنشود، انه متململ ومتقلقل ويئن ويكتئب من الفراق والهجر ويتشوق للعودة الى ذلك المنزل المألوف. كائن لا يعتبر الارض بل السماء مكان استقراره ولا يعتبر الارض وطنا مالوفا ومانوسا بل بيت مستعار. فان اصبحت العمارة والبناية وجها يذكّره بالسماء ويظهر قدَرَه في مرآتها ويستعرض رغبته لحفظ قدسية السماء، فان كلامه المنظوم وشعره يبين حرصه على العودة الى المنزل السماوي المنشود. وهذه الرؤية تتجلى في العديد من الآلات والنغمات الموسيقية المحلية في مختلف المناطق الايرانية. و عندما يختار «مثنوي» و ينشد الاشعار التي كتبت في هذا السياق بلحن «مثنوي».[١]

و يجب القول بان ثمة الفة لا تنفصم عراها بين الموسيقى والعمارة واللباس و الشعر لدى هؤلاء القوم. وكأن كل ذلك انعكاس لصوت واحد ليس الا و قد يكون الاختلاف الوحيد بينها يكمن في جهورية الصوت او نعومته او تركيب الالوان او نوع اللكنة وبيان المفردات بسبب الاختلاف الضئيل للظروف المناطقية. الا ان حقيقة جلها ثابتة. ان هذا التركيب الجميل الناتج عن جهود الشعب الايراني المسلم، مؤشر على سعيه لابراز الوجه الجسماني ورمز ثقافته وفكره. وبما انه يرى ان جميع مكونات العالم تعيش تناسبا متسقا ومنسجما، فان هذه النسبة والتقارب يظهران نفسيهما في جميع اوجه حياته.

وعلى الرغم من اننا لا نتوجه في هذا المقال الى الحضارة المعاصرة لكنه لا بد من التاكيد على وجود علاقة وثيقة بين مظاهر ثقافة ما و حضارة ما. و يكفي اليوم ان نفتح نافذة من بيتنا على حينا و مدينتا لننظر من خلالها الى الاحياء و المنازل. كل شئ وكل صغيرة وكبيرة وكل شاردة و واردة يمكن مشاهدتها في المنازل. وحتى يمكن تحديد نوع الاثاث و الادوات المستخدمة في كل اسرة. العمارة العارية التي تعكس ارهاصات الانسان المعاصر، الانسان الذي لا يملك شيئا ليخفيه ويتستر عليه، وليس لديه سر لاخفائه ومحارم لحمايتها من اعين الاخرين.

إن محاولات الانسان للربط بين الماضي والحاضر، تستحدث مجموعة مثيرة للسخرة من الدمج بين القديم والحديث. قصة ذلك المهندس الذي اراد احياء واعادة تاهيل العمارة القديمة، فالتقط صورا من الزخارف الجصية ومنافذ واعمدة البيوت القديمة ليقوم حسب تصوره باحياء العمارة القديمة من خلال تقليدها وان ما لا يراه في هذا الخضم، هو المعمار والرسام والمصمم وبالتالي الانسان وتبيان النظرة الخاصة لذلك الانسان الى العالم و الانسانية.

والقصة كذلك في نظام التربية والتعليم. فالحديث يدور حول موضوع كلي وفكر سارٍ يعود بموجبه الانسان الى ذاته. لكن هذه الذات ليست الذات الحقيقية التي ترشده الى الاصل بل هي الذات النفسانية.

إن الانسان العصري يرى «ذاته النفسانية» في «مرآة» فكره ومن ثم يقوم بتصوير ما يشاهده والا من لا يدري بان المتعلم في النظام السابق كان يتعلم بان «اول العلم معرفة الجبار واخره تفويض امري الى الله».[٢] وهو المتعلم الذي كان يعلن: ان القدرة و المشيئة هي للفعال ما يشاء.

وبناء على ما ذكر، فان كل ما يحصل في الارض على يد الانسان، هو نتاج وتجسيد لفكره وانطباعه، و بعبارة ابسط فان «الحضارة هي وجه متشكل من جميع المكونات، وتصل الى الاستقرار والثبات في ظل الروح المشتركة او الثقافة رغم اختلافها الصوري». وهذه الثقافة هي التي توعز الى جميع الاجزاء والمكونات وتعمل كالروح التي توفر امكانية استمرار حياة الجسم. لكن يجب القول انه في العصر الذي تسوده ثقافة خاصة وتقوم حضارة خاصة على اساسه، فان الانسان سيكون في خدمة احكام تلك الثقافة من حيث يدري او لا يدري.

الهوامش:

١. تتالف الآلة عادة من عدة الحان، اذ يقدم المطرب قطعة انشودة بتلك الالحان في ضوء مفاهيم الاشعار والحالات.

٢. اول عبارة من كتاب جامع المقدمات هي «اول العلم معرفة الجبار و اخره تفويض امري الى الله».

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة»، طهران، موعود العصر عجل الله فرجه، الطّبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.ق./ ٢٠١٤م.

مع دائرة المعارف السوفيتية

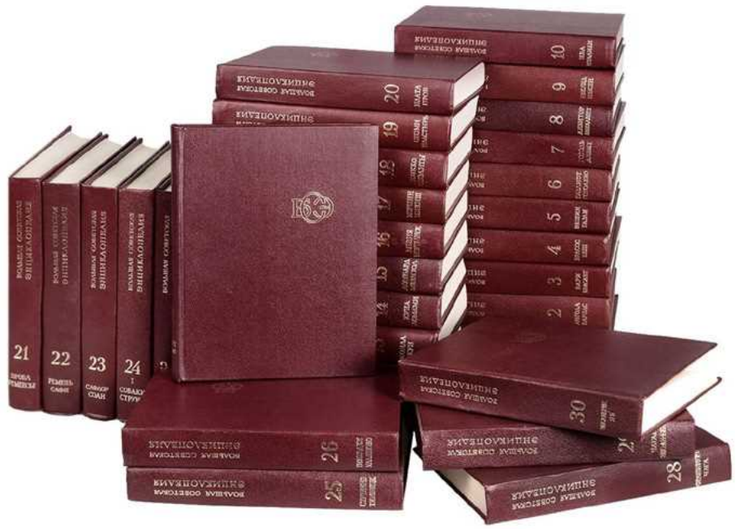

قالت «دائرة المعارف السوفيتية»:

«القرآن»: الكتاب المقدس الأساسي المسلمين.. مجموعة من المواد المذهبية والأسطورية[١] والقانونية.

وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء عثمان، ثم أدخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن – وفق ما بلغنا من المعلومات – بعض التغييرات. و وفقاً للتراث الإسلامي للتاريخ الديني يعتبر محمد هو مشرع القرآن كما يعتبر مؤسس الإسلام.. على أنه وفقاً للتحليل الموضوعي للقرآن هناك نظرية تقول: إن جزءاً معيناً منه فقط ينتمي لعصر محمد.. أما الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بد أنها تنتمي لعصور متقدمة أو متأخرة عنه، ويمكن أن يتبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن، يمكن أن تعزى لتطور اللغة العربية، ولزمن ظهور السور ومكانها وتستخدم الطبقات الاستغلالية القرآن ورجال الدين الإسلامي الرجعيين سلاحاً لخداع الجماهير الكادحة وكبحها.[٢]

والحقيقة، أنني ما كنت أتصور أن أمثال هذا التخبط واللغو السفيه يسجل في كتاب يطلق عليه دائرة المعارف.

إن دائرة المعارف في كل بلدان العالم، يعكف على كتابتها ورصد معلوماتها مجموعة من العلماء المتخصصين، ولا يسمح لأي منهم مهما بلغت درجته من العلم والمعرفة بالكتابة في غير تخصصه.

فمَنْ من العلماء السوفييت المتخصصين في دراسة الأديان أو علم اللاهوت المقارن كتب لهم هذا اللغو؟

أيكون من العلماء وهو لا يقطع برأي ثابت فيما يكتب، ولم يستطع في كل ما كتب أن يرجح رأياً على آخر؟

فهو مرة يقول: إن محمداً كتب جزءاً من القرآن فقط في حياته وبقي ناقصاً حتى تم إكماله في خلال القرن الثاني.

ومرة يقول: إن جزءاً من القرآن كان موجوداً قبل محمد ثم أكمله محمد أثناء حياته.

وثالثة يتخبط ويقول: إن القرآن لم يوضع إلا في خلافة عثمان أي بعد وفاة محمد.

ثم يستمر في جهله: فيدعي وجود تباين في القرآن... ونقول: من أخبره بهذا التباين والاختلاف؟

وهو لا يستطيع أن ينسق بين معلوماته أو يركز أفكاره؟ إن معرفة الفروق بين الأساليب فن وتجربة لا يقدر عليهما إلا من حباه الله النضج العقلي والاتزان الفكري – ليس هذا فحسب – بل لا بد من قضاء مرحلة طويلة في التمرين بالأساليب المختلفة التي يريد أن يطلق عليها هذا الحكم؟

ولا يسعنا إزاء هذا إلا أن نغض الطرف عن هذا اللغو ونتساءل معهم يحتمل أن يكون القرآن من وضع محمد؟

ونتساءل أيضاً ألا يوجد تباين في أساليب القرآن؟
ونستوضح الشياطين الحمر ونسألهم متى استخدم لخداع الفقراء وتخدير الجماهير ؟
ونقول رداً على السؤال الأول: إن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه.. فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم في مدرسة ولم يختلط بحضارة، ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فإن احتمال الشك واحتمال إلقاء هذا السؤال يُعد مستحيلاً.
وإذا نظرنا إلى القرآن في حياد وموضوعية فسوف نستبعد تماماً أن يكون محمدﷺ هو مؤلفه.. لأنه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه في عام واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبو طالب ولا سند له في الحياة غيرهما وفجيعته فيهما لا تقدر ومع ذلك لا يأتي لهما ذكر في القرآن ولا كلمة، وكذلك يموت ابنه إبراهيم ويبكيه ولا يأتي لذلك خبر في القرآن.

القرآن معزول تماماً عن الذات المحمدية.[٣]

وأول خاصة ينبه إليها الباحث في العلوم القرآنية هي ذلك التحدي الصريح الذي وجهه القرآن إلى الناس كافة، منذ أربعة عشر قرناً، وبخاصة أولئك الذين ينكرون رسالة القرآن ولم يستطع أحد من عباقرة البشر أن يرد التحدي إلى الآن.
لقد أعلن القرآن بصوت عال لا إبهام فيه ولا غموض.

«وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ»[٤]

إنه أغرب تحد في التاريخ، وأكثره إثارة، فلم يجرؤ أحد من الكتاب في التاريخ الإنساني – وهو بكامل عقله ووعيه – أن يقدم تحدياً مماثلاً، ولكن حين يدعى أن هناك كلاماً ليس في إمكان الإتيان بمثله ثم تخفق البشرية على مدى التاريخ في مواجهة هذا التحدي، حينئذ يثبت تلقائياً أنه كلام غير إنساني، وأنها كلمات صدرت عن صميم المنبع الإلهي، وكل ما يخرج من المنبع الإلهي لا يمكن مواجهة تحدياته.
وفي الإجابة على السؤال الثاني نستعرض هذه الواقعة التاريخية لنرى إن كان في القرآن تباين أم لا..؟
وتتلخص هذه الواقعة في ما حدث من الشاعر **لبيد بن ربيعة**، الشهير ببلاغة منطقه، وفصاحة لسانه، ورصانة شعره، فعندما سمع أن محمداً يتحدى الناس بكلامه قال بعض الأبيات رداً على ما سمع، وعلقها على باب الكعبة، وكان التعليق على باب الكعبة امتيازاً لم تدركه إلا فئة قليلة من كبار شعراء العرب، وحين رأى أحد المسلمين هذا أخذته العزة فكتب بعض آيات الكتاب الكريم، وعلقها إلى جوار أبيات لبيد.
ومر لبيد بباب الكعبة في اليوم التالي، ولم يكن قد أسلم بعد، فأذهلته الآيات القرآنية، حتى إنه صرخ من فوره قائلاً:

والله ما هذا بقول بشر، وأنا من المسلمين.[٥]

فعل لبيد ذلك وهو الخبير بأساليب اللغة.. العالم بكل صغيرة وكبيرة فيها.. لقد وجد في أساليب القرآن وفي نسق القرآن معجزة لا يستطيع أن يقوم بها بشر فأعلن إسلامه.
وكان من نتيجة هذه المعرفة أن هذا الشاعر العربي العملاق هجر قول الشعر.

الهوامش:

١. إنه يرددون ما قالته الجاهلية الأولى والذي حكاه القرآن عنهم بقوله: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (سورة الفرقان، الآية ٥.) وكلنا نعلم أن ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي – وكان دولة تعد في مصاف الدول الأولى، قد أنزل الله عليها غضبه وجفت أراضيها فلا أخصبت ولا أنبتت وأصبحت في المؤخرة تتسول إلى بقية الدول.
٢. «دائرة المعارف السوفيتية»، ج ١٢، ص ٥٦٤.
٣. حوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود، بتصرف.
٤. سورة البقرة، الآية ٢٣.
٥. «الإسلام يتحدى»، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان.
٦. سورة الكهف، الآية ٥.

المصدر: عبد الرحمن عميره، «الإسلام و المسلمون بين أحقاد التبشير و ضلال الإستشراق»، بيروت، دار الجيل.

خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: تحمل المسؤولية

أشرنا في القسم السابق إلى أن موضوعات مختلفة تُطرح من أجل الوقاية وخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة، أحدها سيادة القانون، وذكرنا أن استخدام الفضاء الافتراضي في أي أسرة، يجب أن يتم على أساس قوانين، يتقيد بها جميع أعضاء تلك الأسرة بمن فيهم الأبوان والأبناء، وألا يحيدوا عنها تحت أي ظرف، وأوردنا إيضاحات بهذا الخصوص. وأحد الموضوعات التي يوصى بها لخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة هو تحمل المسؤولية، ونتطرق إليه فيما يلي:

تحمل المسؤولية

ويعني تحمل المسؤولية التزام باطني من جانب الفرد ذاته أو شخص آخر لتنفيذ أنشطة أوكليت إليه. وفي تعريف آخر، يعني تحمل المسؤولية الالتزام بالقيام بأعمال محددة للوصول إلى نتائج معينة، تجري في جميع أدوار حياتنا.[١]
وأي انسان يتحمل المسؤولية، لديه التزامات أمام نفسه والله والمجتمع؛ يجب أن يتقيد بها. وتختلف التزامات كل شخص تجاه موضوع ما، عن مسؤولية الآخرين ممن يحتلون مواقع مختلفة تجاه الموضوع ذاته.

ميزات تحمل المسؤولية

ينطوي التزام أي شخص بإنجاز أعمال أوكلت إليه، على ميزات بالنسبة له وللمحيطين به (الزملاء والأسرة و...)، نشير تاليا إلى بعض منها:[٢]
– بامكان الأشخاص إقامة تواصل متين ومؤثر وطويل الأمد مع الآخرين.
– تدعيم عزة النفس لدى الأشخاص على خلفية التزامهم بتنفيذ الأعمال.
– لا يلومنا الآخرون بسبب الأعمال التي لم ننجزها أو أرجأنا تنفيذها.
– نحدد ما العمل الذي يجب القيام به من أجل معالجة المشاكل.
– لن نقاسي من التوتر النفسي وقلق حلول المهلة المحددة والتأخر في إنجاز الأعمال.
– نستطيع القيام باعمالنا بجودة ومردود أكبرين.
– بامكاننا من خلال التعاون والتعاطي مع الآخرين، تقسيم الأعمال، والتقليل من ضغطها. (عندما لا نتحمل المسؤولية، فان الأعمال تتراكم، وتفتقد إلى النظام. ولهذا السبب، لا تتوافر إمكانية تكليف الآخرين بمهمة إنجازها، بل أننا وحدنا يجب تنفيذها بسرعة كبيرة، لكي لا نتعرض للتوبيخ)

– يؤثر تحمل المسؤولية على التنمية الفردية والنمو الأخلاقي.
– نستطيع دائما، الاستجابة ولن نصاب بالتوتر النفسي على خلفية مساءلة الآخرين لنا.

تحمل المسؤولية الاجتماعية

إننا كلنا أعضاء في المجتمع ونعيش جنبا إلى جنب، لذلك يتعين علينا التقيد بقوانينه. إن عيش أفراد المجتمع جنبا إلى جنب يؤدي إلى تحميلهم المسؤولية تجاه أحدهم الاخر، بحيث أن الربح والخسارة الاجتماعية ستطال جميع أفراد المجتمع، وإما أن يتضرر الجميع أو يربح.

ومن المسؤوليات الاجتماعية التي يولي الاسلام إليها أهمية خاصة، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إن عدم اكتراث الأناس إزاء عدوان الأشخاص وذنوبهم أو أخطائهم يؤدي إلى الابتعاد عن الرحمة الالهية. ويقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة:

«فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي ، والحلماء لترك التناهي.»

وإحدى المسؤوليات الاجتماعية المهمة الأخرى هي توعية أفراد المجتمع بشأن الأمور التي ندري أن معظم هؤلاء الأشخاص ليسوا على علم بها أو أن لديهم معلومات خاطئة بشأنها، وهذه التوعية يمكن أن تكون إيجابية أو سلبية. على سبيل المثال، التوعية التي تمارسها شرطة السير والمرور إزاء المخاطر الموجودة في الطرق بما فيها الانهيارات الجبلية و...، تعد من هذه الأمور. إن التوعية تجاه مخاطر الإعلام خاصة الفضاء الافتراضي، تندرج ضمن هذا النوع من المسؤوليات؛ لانه يتم في المجتمع الترويج لاستخدامه أكثر من تبيان أضراره ومخاطره والطريقة الصحيحة للاستفادة منه. لذلك فانه إضافة إلى المسؤولية التي يتحملها الإعلاميون والنقاد في الإعلام والمتخصصون الإعلاميون فيما يخص توعية أفراد المجتمع إزاء المخاطر والأضرار والطريقة الصحيحة لاستخدام وسائل الإعلام، فانه يتعين على الأبوين أيضا زيادة معلوماتهم تجاه توعية أبنائهم بهذا الخصوص.

لكن النقطة المهمة تكمن في أن تعليم الأبناء وتوعيهم يجب أن تتم عندما لا يتعرضون لمشاكل وتلوث ودنس الفضاء الافتراضي وانعدام الاخلاق فيه، ولم تتدنس روحهم وجسمهم بهذه الحالات ولم تستحوذ عليهم الشبهات والأفكار الأخلاقية والعقائدية.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشأن:

«بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المُرجئة.»[٤]

وقال **الإمام الخميني** بخصوص مسؤولياتنا العامة تجاه الإعلام، وذلك في الفقرة «م» من وصيته:

إن لم يتم بشكل حاسم الحد مما هو حرام شرعا وما هو مغاير لمسيرة الشعب والبلد الاسلامي ومخالف لاعتبار الجمهورية الاسلامية، فان جميعنا مسؤولون، وإن صادف الناس والشبان المؤمنون أحد هذه الأمور، عليهم الرجوع إلى الجهة المختصة، وإن تقاعست، فيجب عليهم هم أن يمنعوا حدوث ذلك.

الهوامش:

1. https://barayand.me/what-is-accountability/
2. https://barayand.me/what-is-accountability/
٣. «نهج البلاغة»، الخطبه ١٩٢.
٤. محمد بن حسن الحر العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ١٧، ص ٣٣١.

إن إنكار الوحي والنبوة، جعل الليبرالية[١] تستحوذ على الحياة الثقافية والحضارية للانسان الغربي. وكان ذلك بمنزلة النتيجة المحتومة لقبول النسبية الأخلاقية وإضفاء الأصالة على التجربة الحسية لكسب المعرفة حول العالم والانسان. المحطة التي أتخذ فيها الانسان كمعيار للتقويم وأجلس على عرش السلطة بعد أن تم افتراض النفس الأمارة، كمبدأ واساس لتعيين الحدود والقيم.

إن هذا الانسان الجديد الذي نشأ من جهاز وخط إنتاج عصر النهضة والمذهب الانساني وعصر التنوير، كان بمنزلة أنا المفكر والقائم بذاته، واحتل موقع تشخيص الصلاح والفساد والتمييز بين المعروف والمنكر، كالانسان الذي قدمه الفيلسوف الغربي الشهير **جان جاك روسو**.

وتحول ضمير الانسان إلى المرجع الوحيد لتشخيص الخير والشرّ ومتحرر من جميع القيود، ولم يبق لا سماويا ولا قدسيا ولا مخلّصاً أفضل. وكأن الانسان يطلق العنان لنفسه فحسب ويعتبر العالم ساحة رحبة للحكم.

ويقول روسو:

الضمير، أيها الضمير! أيها العزيز الإلهي والأبدي! أيها النداء السماوي! أيها المرشد الموثوق به للجهلة والمغفلين! القاضي النزيه للخير والشر، والذي يصنع الانسان كالله، أنت الذي توصل الطبيعة إلى قمة الرفعة وتجعل أعمالها قرينة للصواب. ومن دونك لا أشعر بأي شئ بداخلي يجعلني أرفع من الحيوانات.[٢]

إن روسو يعطي الأصالة للضمير الذي لا يوجد فيه الله. وقد وصل الانسان الحر إلى المقام الإلهي ليعلن:

إن عملي فحسب هو أن أستشير ذاتي بشأن ما أريد فعله. إن ما أشعر به أنه جيد، فهو جيد وما أشعر به أنه سئ، فهو سئ، وهذه قاعدة بسيطة وحاسمة، سنصبح أناسا شرفاء عندما نتبعها.[٣]

إن المفهوم الرئيسي لليبرالية في الغرب وبتبعه، مذهب الماسونيين، وحسبما قال سارتر يتمثل في تحرر الانسان من أي حكم سوى حكمه. من دون أن يكون لناهٍ سلطة إبداء الرأي.

وكأن تحرر الانسان في هذا العصر، بات بمنزلة إباحة كل شئ.

وأقرب تعريف لليبرالية، بما يتفق مع تعريف أهل الدين، هو **النزعة الإباحية،**[٤] مثلما أعلن **جان بول سارتر:**

إن الانسان يجب أن يكون تابعا لقراره.[٥]

ويقول كونت في تعريف التنويري:

إن التنويري هو الانسان الذي بلغ مرحلة النضج بحيث لن يكون بحاجة إلى سيد ومراقب. فهو ليس بحاجة إلى الله ولا لنبي ولا لانسان فذ.[٦]

وإستنادا إلى أقوال المفكرين الغربيين هذه، فان الليبرالية أو النزعة الإباحية هي عبارة عن تحرر الإنسان من الإلتزام الالهي والتعاقد مع نفسه الأمارة. وبناء على ذلك، فان الحرية في المذهب الانساني تدعو إلى إباحة كل شئ وإطلاق يد الانسان للسير في الأرض من دون رادع ووزاع.

وفي مستهل التاريخ الغربي الجديد (القرن الخامس عشر)، فان إطّراح الدين وتوسيع العلمانية أدى إلى السير على جادة الأنانية وإعتبار الإنطباعات المتأتية من العقل الكمي والمذهب التجريبي البحت، من دون تدخل الحجة السماوية والوحيانية، تكفي لنيل السعادة وتجربة الأمن والعدالة، واعتبار الإنطباعات ذاتها، كافية لتنظيم وترتيب العلاقات الاجتماعية والسياسية. ومذاك، تحولت العقود الاجتماعية والمواثيق إلى مصدر ومرجع أولي لتنظيم وصياغة قواعد العيش الجماعي. ويقول **حسين نصر** في هذا الخصوص:

وخلال العصر الجديد، إنفصمت الفلسفة في الغرب، بداية عن الدين والتحقت بالتالي بالعلوم التجريبية والطبيعية، واستحدثت أساليب فكرية مختلفة كان معظمها بصدد الحلول محل الحقائق الدينية. إن الجزء الأعظم الذي نشهده اليوم في العالم الحداثي، أكان في ميدان الاخلاق أو السياسة والدرك النظري للماهية والحقيقة أو علم المعرفة، يضرب بجذوره في الفلسفة الجديدة، إذ تدخل كل يوم وأكثر من قبله، في تنافس وفي الكثير من الحالات في عداء مع الكلام والحكمة والدين، وبالتالي، أصبح أناس بصدد تسمية الفلسفة الجديدة بـ مسيوسوفي،[٧] **أي كراهية الحكمة وهي من الناحية اللفظية، على طرف نقيض من الفلسفة أو فيلسوفي**[٨] **التي تعني حب الفلسفة. وفضلا عن ذلك، أصبحت الفلسفة منذ القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر، بصدد إحلال ذاتها محل الدين بالتمام والكمال، وشكل ظهور فكرة الايديولوجيا بحد ذاتها، طليعة هذا التحدي، أي ظهور تعبير يستخدمه المسلمون اليوم على نطاق واسع، بينما نادرا ما يفهمون، طبيعة هذا المفهوم، غير الديني والمعادي للدين أصلا، والذي يعمل تدريجيا على إزاحة الدين التقليدي عن الكثير من المحافل [الإسلامية].**[٩]

وكان الانسان الغربي السائر على خطى مثقفيه وفلاسفته، يبحث عن الخير عبر مجموعة من الايديولوجيات المصطنعة على يده والتي هي حصيلة تصوراته وتوقعاته. متجاهلا أنه بناء على سنة الكون التي لا تجد لها تغييرا، فان مجمل القدرات الجسدية والإفرازات الذهنية للانسان، وبسبب النقصان والهزال، عاجزة عن درك جميع ساحات الوجود واكتشاف أوجهه الخفية والجلية، وتفتقد إلى إمكانية تخمين عامة الإحتياجات المادية والمعنوية للانسان على امتداد التاريخ.

وفي ظل هذا التوجه الإنسانوي تجاه الكون والوجود والإنخراط في النهج الليبرالي، فان الانسان الغربي وتهربا منه من الحق والحقيقة وجعل العالم رومانياً، أخذ يسير كالذئب بحثا عن السلطة التامة والهيمنة الشاملة عسى أن ينال مبتغاه في الحياة.

وما كان يطلق عليه تسمية الحرية، هو التحرر من الحق والحقيقة، بحيث أنه عندما كان يشير إلى التقدم والرقي، لم يقصد سوى الإستيلاء الخاوي من العطوفة ورفق السماء والأرض وسكان ربوع هذه الأرض مترامية الأطراف.

ويقول **محمّد عبد الله عنان** حول خصومة جماعة البنائين الأحرار (الماسونية):

إن الأساس في البناء الحر، هو حرية المعتقد والتضامن في عالم الانسانية [المذهب الانساني]. وكان هذا ضربا من التجاوز على المحفل البريطاني الذي لا يمضي قدما في حرية المعتقد إلى حد الإلحاد والإنكار...

ولم تكتف غراند أوريان في معاداته للدين، بهذا القدر، بل طلب من كل واحد من أعضائه أن يعلنوا أن المندس الأعظم (الله) وهم وخرافة ليس إلا، وأدلت المحافل بتصريحات في طعن الدين بحدة ونقده ونسف المبادئ والنظريات الدينية والسخرية منها.[١٠]

إن ما يصرح به تنظيم الماسونيين، تحت راية محافل بما فيها «غراند أوريان» حول الدين والتدين، لا ينحصر على أعضاء هذه المحافل ولا يقتصر عليها، بل كما أسلفنا، فان تطورا هائلا قد وقع في عالم الغرب وأدى إلى ظهور توجه عام تمثل في التنكر للدين. وفي هذا الخضم، كانت جماعة البنائين الأحرار، حاملة راية هذا التيار الشامل، بعبارة أخرى، إنهم كانوا رمز خارج التاريخ الغربي الجديد. ومن هذا المنطلق، قدمت الماسونية في ظل التوجه الانسانوي على أنها الروح المستولية على الثقافة والحضارة المعاصرتين.

ويأتي عبد الله عنان خلال إماطة اللثام عن محافل البنائين الأحرار، على ذكر القوى الخفية والمستترة التي تتبنى المشروع الاستراتيجي للمحافل الحرة، ويقول:

والخلاصة أن غراند أوريان وحسبما يقول أعداء البنائين الأحرار، هي هيئة مخربة وغايتها طمس جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، إلا أن بعض الباحثين لا ينسبون هذه الرغبة والدافع الثوري والمدمر إلى البناء الحر ذاته، بل ينسبونه إلى قوى خفية تعمل من وراء الستار،

لذلك، فان غراند أوريان هي ستار ليس إلا، وراية يقف الأعضاء تحتها ويعملون من اجل نيل مقاصد لا يعرفون هم ما هي بالضبط؟ بل أن معظم البنائين الأحرار في المراتب والدرجات العليا، يجهلون مقاصد الموجهين المستترين، كما يجهلون تلك السلطة التي تدير عجلتهم وتعمل من خلف الكواليس. ويذهب الباحثون إلى أن هناك ثلاثة أنواع من البنائين الاحرار الكبار، صنفوا في ثلاث مراتب هي:

الاولى، البناء الأزرق، الذي لا يكشف شيئا عن الأسرار الحقيقية للأعضاء، بل هو منصب لإصطفاء الأخوة المخلصين، والثانية المراتب العليا، التي لا يطلعون هناك إلا على شئ طفيف من الأسرار الحقيقة، بيد أنهم يظنون بانهم واقفون على جميع أسرار الهيئة الخفية، والثالثة الهيئة الداخلية التي هي مرتبة الأساتذة الحقيقيين، وهذه هي الهيئة التي يختفي أعضاؤها خلف ستار أعلى وأن الدرجات والمراتب هي بتصرفهم دائما، وهذه الهيئة الداخلية تكتسب مع البناء الحر الخفي، صبغة دولية إلى حد كبير.

ومن هي هذه القوى الخفية التي تقود البناء الحر، وتختفي هي عن الأنظار وما هي؟

ويرد البعض على هذا السؤال من أن القوى اليهودية وموجهي غراند أوريان، معظمهم من اليهود. ومن ثم يقولون أنه لا يشكون أن أهداف البناء هي أهداف ثورية ولا يترددون بان الأغراض المذكورة، موحدة مع مقاصد الإشتراكيين الدوليين وهي المقاصد والأغراض ذاتها.[١١]

الهوامش:

1. Liberalisme.

٢. كرسون، آندره، «الفلاسفة الكبار»، ج ٢، ص ٥٣١.

٣. المصدر السابق، ص ٥٣٣.

٤. وقد اقتبسنا هذه الترجمة من الأستاذ الفيلسوف والعالم اللغوي المعاصر، المغفور له الدكتور أحمد فرديد.

٥. «الحركة الفكرية الحديثة في ايران والعالم»، ص ٨٩.

٦. المصدر السابق، ص ٨٩.

7. Misosophy.

8. Philosophy.

٩. نصر، سيّد حسين، «الشاب المسلم والعالم الحداثي»، طرح نو للنشر، ص ٢١٣.

١٠. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١٢٢.

١١. المصدر السابق، ص ١٢٣.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

آثار النزاع في الأسرة

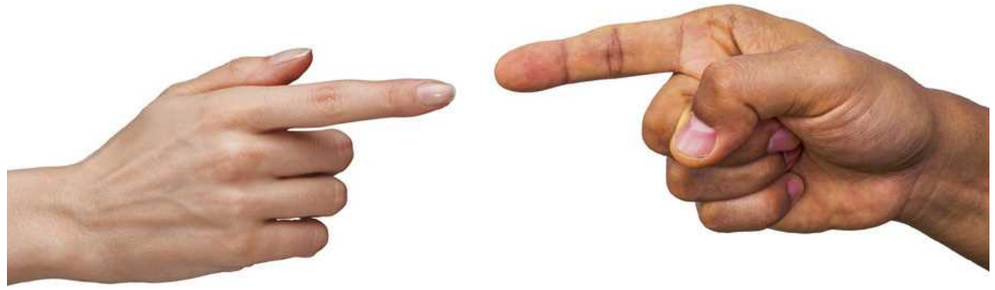

تؤدي النزاعات بشكل عام إلى القضاء على حالة المودّة والأُلفة التي تسود الأسرة، إذ يحل محلّها الضغينة والحقد، وإذا ما استمرت هذه الحالة فإنّ تراكم ذلك سوف يهدد أمن الأسرة واستقرارها.

هذا على صعيد الزوجين، أمّا على صعيد الأطفال فإنّ الآثار تتخذ أشكالاً تهدد تربيتهم وتنشئتهم في الطريق المنشود، فالنزاع يسمم جو الأسرة كما أنّ دخان المعارك لا بدّ وأن يحرق عيونهم، إن لم نقل بأنّه سيخنقهم ويقضي على مستقبلهم.

إن النزاع في الحياة الزوجية يهدد شعور الأطفال بالأمن، ويخلق لديهم حالة من الشعور بالخوف، ممّا يشكّل خطراً على نموهم الروحي.

وتحدث الطامّة الكبرى عندما يؤدي النزاع إلى الطلاق والانفصال، إذ يصل الأمر أخيراً إلى أخطر مراحله ويفقد الأطفال تماماً شعورهم بالأمن ويسلبهم ذلك الجو الدافئ الذي كانوا ينعمون في أحضانه ويتحولون إلى كرات يتقاذفها هذا وذاك، يقضون وقتهم بانتظار من يمد لهم يداً تساعدهم أو تمسح على رؤوسهم.

حق المرأة

إن تعدد الزوجات لا يعد امتيازاً للرجل إذا انطوى على مصلحة اجتماعية وأخلاقية، فتعدد الزوجات يمكن تفسيره على أنّه حق للمرأة أيضاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار المسألة الاجتماعية كلها لتشمل الدائرة نساء المجتمع، وعلى المرأة أن لا تفكر بنفسها فقط، فهناك من لا تجد من يعيلها، وهناك من لا تجد المأوى الذي تلجأ إليه، أليس من واجب المرأة هنا أن تفسح مجالاً لغيرها ؟ أليس من حق كل امرأة أن تشكل الأسرة؟ إذا أضفنا هذا الجانب إلى جميع حسابات المسألة فيمكن أن نطرح تعدد الزوجات على أنّه حق للمرأة وليس حقاً للرجل فقط.

المبررات

هناك مبررات عديدة لتعدد الزوجات منها: المرض المزمن، العقم، صيانة المرأة من الانحراف والسقوط الأخلاقي، ومع كل ذلك تعتبر بعض النساء وفود المرأة الأخرى بمثابة احتلال، ويتحول المنزل إلى ساحة حرب مدمّرة. إنّ على المرأة أن تحكّم عقلها في هذه المسألة وأن تأخذ مصلحة أطفالها بنظر الاعتبار، ذلك أنّ الرجل إذا ما شعر بحاجته إلى امرأة أخرى فمن الأفضل أن يتمّ الأمر بعلم زوجته وإلاّ فإنّها سوف تفاجأ ذات يوم بما لا يحمد عقباه؛ لأنّ الرجل سوف يجنح إلى وسائل عديدة لتأمين حاجته تلك وقد ينتهي بعضها بفضيحة مخجلة للأسرة كلها.

مساوىء المنع

إن رفض المرأة لإقدام زوجها على اختيار امرأة أخرى لن يحل المشكلة، بل سيعقّدها ويجعل من الحياة الزوجية سلسلة من النزاعات والصراعات المريرة، إضافة إلى أثره في نشر الفساد الأخلاقي والأمراض النفسية، وقد يؤدي الأمر في بعض الأحيان إلى فرار المرأة من المنزل، إنّ موافقة المرأة على خطوة زوجها ربّما يعتبر أفضل الحلول لحفظ الاسرة من الأنهيار إضافة إلى أثره في الحد من توسع الفساد الخلقي والفحشاء.

حديث مع الرجال

تعتبر المرأة وفود أخرى ومشاركتها لزوجها تهديداً مصيرياً، ذلك أنّها تنظر إلى زوجها وكأنّه قد اعتبرها مجرد سلعة قديمة أو شيئاً استنفذ أغراضه، ومع الأسف فهناك من الممارسات ما يؤيد هذه النظرة. إنّ انعدام العدالة في التعامل، والظلم الذي يرتكبه الرجل بحق الزوجة الأولى هو أساس أكثر النزاعات التي تنشب في الحياة الأسرية.

إنّ تعامل الرجل يجب أن يكون بمستوى الإنسانية على الأقل، وأن لا يقدم الرجل على جرح عواطف زوجته أو يعرّضها وأولادها إلى الشعور بالضياع والحرمان؛ وأخيراً فإنّ إقدام الرجل على اختيار امرأة أخرى لا يعني أهمال زوجته الأولى وحرمانها من حقوقها، وسقوطها من قائمة الحسابات.

المصدر: القائمي، علي، «الأسرة وقضايا الزواج».

رياضات النفس وفعل الأعاجيب

إن مصادر التشريع منحصرة بتلقي المعصوم عن الحق تعالى، أما تلقي غير المعصوم فليس له حجية لأن الله تعالى أمرنا بالأخذ من ذلك الطريق وهو التلقي الحسي من المعصوم وكل ما عداه غير معتبر عنده تعالى.

ولكن هذا لا يعني عدم إمكان الإطلاع مثل الجن والشياطين والكهنة على بعض قطرات من الغيب كما قال تعالى: «**إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ.**»[1] ولكن كل ذلك لا حجية له ولا يوجب علماً صحيحاً تاماً.

ونفس هذا الكلام نقوله في انقطاع السفارة فإنّه بعد أن ثبت بالدليل وصار من ضروريات مذهب أهل البيت عليهم السلام فإنّ ذلك لا يعني عدم إمكان التشرف برؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه بل هو ممكن ولكن ذلك لا يعني أيّ منصب أو عنوان من عناوين الحجية بل غاية ما فيه أنه يتشرف بالرؤية فحسب، وهذا التشرف من الأمور الواقعة لكثير من العلماء وغيرهم من المؤمنين وقد ذكرت المئات بل الآلاف من القصص والحكايات والمواقف والمشاهدات من هذا القبيل وما ذلك إلاّ لأن المناصب الدينية والحجية لها أنظمة خاصة ومراتب خاصة لا تحصل بمجرد الرؤيا.

يذكر أحد وكلاء المراجع والفقهاء وكان في باكستان والهند يذكر ذكريات السنين التي كان يعيشها هناك في الهند وباكستان عن جملة من المرتاضين غير المسلمين بل من الكفار والهندوس فإنّهم كانوا يستطيعون ببعض الرياضات أن يوقفوا قطاراً ومنعه من السير وتعطيل طائرة عن الطيران، وقدرة على قراءة الخاطر والضمير وقراءة أعمال الأشخاص الماضية منذ طفولته أو قراءة بعض الحوادث المستقبلية وغير ذلك الكثير من الأعاجيب، أو يسخر جملة من الشياطين والجن كفعل الكهانة والكاهن، لكن هذا لا يعني أن هذا الشخص المرتاض له وحي أو له ولاية تكوينية أو...، بل هذه نتيجة رياضات النفس، فإنّ للنفس قدرات عجيبة إذا روضها الشخص برياضات خاصة يستطيع فعل الأعاجيب، فإنّ أحد المرتاضين مثلاً _ كما يذكر ذلك من ذهب للهند _ يستطيع أن يبقى في القبر ستة أشهر من دون أيّ طعام ولا شراب بل حتّى من دون تنفس فإنّه بالتنويم المغناطيسي استطاع ترويض نفسه على ذلك وغيرها من الأفعال التي يفعلها البعض كبلع المسامير وإدخال السيف في الجسد أو يخبر عن مواقف وأفعال الآخرين الماضية من خلال الكلام مع الجن أو القرين ممن قد يخطف الخطفة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، فإنّ مثل هذه الأفعال الخارقة والعجيبة ليست ببعيدة عن السحرة والجن والعفاريت كما يقول القرآن الكريم في عرش بلقيس: «**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.**»[2] فهذا عفريت من الجن من الشياطين وليس من الملائكة وليس من المهتدين وليس من الطائعين بل عفريت من الشياطين وعد بأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن قبل قيام النبي سليمان عليه السلام من مجلسه أي في ظرف ربع أو نصف ساعة، ولكن هذا هل يعني أن ذلك العفريت صار جبرائيل أو صار وحياً أو نحو ذلك؟ كلا فإنّه عفريت من الشياطين ليس إلاّ، فكل ذلك ليس وحياً ولا نوراً يكتشف به الواقع والغيب كما يتصور بعض السذج والمغرر بهم، بل هي من امتحانات الله التي يبتلي بها الناس ليمتحن بصائرهم فإنّ مثل هذه الأعمال قد تكون للعفاريت والجن والكفار المرتاضين و... ولا تكون لبعض المؤمنين وليس له القدرة على إنجاز شيء أبسط من ذلك، ولكن مع كل هذا فإنّ المؤمن الضعيف الذي ليس له أيّ قدرة يكون ناجياً في الآخرة ومن أصحاب الجنّة ورضوان الله تعالى في حين يكون ذلك الفاعل للأعاجيب من أهل النار وممن غضب الله تعالى عليهم، وليس هذا بالغريب فإنّ إبليس زوّده الله تعالى بقدرات عظيمة فإنّه يستطيع أن يوسوس ويخترق كل النفوس البشرية وهذه قدرة جبارة ليست عند أعظم القوى البشرية كالدول الكبرى بما لها من علوم وطاقات وقدرات و... كما أن لإبليس قدرة التشكل بأشكال وألوان مختلفة وله قدرة

تزيين الأعمال ويحدث الخواطر في النفس ويجذب الناس إلى حيث يشاء وربما له قدرة الذهاب إلى قرب السماء الأولى، فإنّ قدرات إبليس قدرات هائلة وليست بالسهلة ولكنها لا تدل على ألوهيته ولا مكانته عند الله تعالى، بل هو إبليس على ما هو عليه من اللعن والطرد.

والقرآن الكريم يسطر لنا هذه الأمثلة كي لا ننخدع بل لا بدَّ من الرجوع للعقل وضروريات الدين والسُنّة، فالقرآن الكريم يعتبر المعارف والعقائد الحقة أعظم من تلك الأعاجيب والمظاهر من طي الأرض والزمان والرؤى والمكاشفات و... فبحسب المفهوم القرآني هذه ليست ميزان هداية بل حتّى مثل الحصول على بعض الاسم الأعظم كبلعم بن باعورا ليس لها قيمة في الحجية، فقال تعالى:

«**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ**»[3]

وقد ورد أنه لو قرئ على ميت سبعين مرة سورة الفاتحة وردت له الحياة فليس ذلك بغريب[4] بل حتّى من خلال العلوم الحديثة فإنّهم توصلوا لنتائج عجيبة غريبة من خلال إعمال العلوم الأكاديمية من كيمياء وفيزياء ومراتب الطاقة وعلم النانو والكوانتم[5] وغيرها بحيث أصبح لهم قدرة أن يكون الشخص موجوداً في مكان ثمّ فجأة يختفي ولا يرى.

فإنّ بعض الكرامات التي يحصل عليها بعض الزهّاد والأولياء والصالحين والمتقين أو نتائج العلوم الأكاديمية... ما هي إلاّ كرامات يعطيها الله تعالى لهم ولا تدل على العصمة ولا على السداد بقول مطلق، فعلينا أن لا نفقد قدرة التمييز بين العصمة والسداد والتي تفيد الحجية وبين هذه الكرامات من الله تعالى أو نتائج وأفعال النفس نتيجة الرياضات.

فإنّ بعض أولئك _ أصحاب الكرامات أو الرياضات _ على ما هم عليه من الزهد والتقوى أو الرياضات إذا نظروا في مسألة في العقائد أو الفقه تجدهم يخطأون ويتخبطون بجهلهم، بل ربما بعضهم يعتقد بمسألة عقائدية أو فقهية بشكل معكوس فيرى الحلال حراماً أو الحرام حلالاً.

فالقرآن الكريم يريد أن يبيّن لنا أن التقوى والزهد والصلاح والعفاف والأخلاق الحسنة النبيلة فإنّ كل ذلك شيء والعصمة شيء آخر، فالعصمة فوق ذلك ولها ضوابطها الخاصة وموازينها وقنواتها.

فلا ننخدع بذلك إذا حصل لنا أو لغيرنا، فإنّها امتحانات يمتحننا الله تعالى بها في المعرفة والبصيرة، فسبحان الله كيف يمتحن الخلق بالحق وبالباطل، بل يمتحن حتّى بالحبوة الإلهية، فينعم الله تعالى على عبد بصلاح أو تقوى ونحوها ليرى هل ينغر أو ينخدع؟ فلا بدَّ من التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى وعدم الانحراف والانجراف وراء مكاشف أو رؤية أو علم غريب أو نحو ذلك.

فهذا بلعم بن باعورا خصه وحباه الله تعالى بحرف من الاسم الأعظم وجعله بذلك تحت الامتحان والاختبار كما ورد ذلك في الروايات ولكنه لم يكبح جماح نفسه، بل راح يطلب ما ليس له فوقع في الانحراف قال تعالى:

«**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ، وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.**»[4]

الهوامش:

١. سورة الصافات، الآية ١٠.
٢. سورة النمل، الآية ٤٠.
٣. سورة الأعراف، الآية ١٧٥.
٤. سورة الأعراف، الآيتان ١٧٥-١٧٦.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وجهات النظر المختلفة حول المهدوية والانتظار

علي منتظر القائم

بحسب الروايات القطعية التي سبق ذكرها، يجب على كل مسلم معرفة إمام زمانه. وتأسيساً على ذلك، يقع على عاتق كل منا في حدود مقدرته واجب معرفة إمام عصره وحجته؛ أي أن يعرف الإمام المهدي عجل الله فرجه؛ وهو الإمام الثاني عشر من سلالة الأئمة الشيعة وابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وبقدر ما نعرف الإمام المهدي عجل الله فرجه سنبتعد عن الظلمات والفساد والضلال في عصر الجهل ونقترب من النور والسعادة والخلاص. يجب أن نعلم أنه بسبب اتساع وعمق شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه والتأثيرات المختلفة التي تحدثها على مختلف جوانب الحياة البشرية عبر التاريخ، فقد كانت هناك وجهات نظر مختلفة في مجال معرفته ومعرفة المعتقد المهدوي والثقافة المهدوية، ومن أهمها: وجهة النظر الكلامية (العقائدية) – التاريخية ووجهة نظر الثقافية – الاجتماعية.

قبل دراسة أسس كل وجهة نظر ومصادر دراستها، يجب أن نتذكر أن هاتين النظرتين مكملتان لبعضهما البعض، وبدون فهم كلامي وتاريخي صحيح للإمام المهدي عجل الله فرجه، فلا يمكن تحقيق الفهم الثقافي والاجتماعي له.

١. أساسيات وجهات النظر المهدوية

أ) وجهة النظر الكلامية – التاريخية

في وجهة النظر هذه، يتم النظر في ثلاثة جوانب من شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه وحياته:

أولاً، إنه عجل الله فرجه حجة الله، واستمرار لسلسلة الحجج الإلهية، والإمام المعصوم الثاني عشر من سلالة أئمة الشيعة المعصومين عليهم السلام وهو غائب في الوقت الحاضر.

ثانياً، الإمام المهدي عجل الله فرجه شخصية تاريخية، وقد وُلد لأب وأم محددين في فترة زمنية معينة وقد شهد العديد من الأحداث، وكان على تواصل بأفراد مختلفين، كما كان مصدراً لأحداث وَ مختلفة في عصر الغيبة الصغرى.

ثالثاً، هو المنقذ الموعود للشيعة والذي سيزيل بظهوره كل مظاهر الظلم والفساد من وجه الأرض، ويملأ العالم بالعدل القسط.

وعليه، نجد في معظم الكتب التي درست شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه وجوانبه الوجودية من وجهة نظر كلامية – تاريخية موضوعات متشابهة، ومن أهمها ما يلي: ضرورة وجود الحجة الإلهية في كل عصر؛ إثبات الميلاد وأسباب الإمامة والسمات الشخصية وفلسفة الغيبة ماذا من النواب وسر طول العمر والمعجزات والتوقيعات (الرسائل) وعلامات ظهوره عجل الله فرجه وغيرها

ب) وجهة النظر الثقافية الاجتماعية

تحاول وجهة النظر هذه قبول جميع الأسس والمبادئ التي تم تبنيها في وجهة النظر الكلامية التاريخية في مجال ولادة وغيبة وظهور آخر حجج الله، حضرة المهدي عجل الله فرجه، والتي تم إثباتها بناءً على البراهين والأدلة العقلية والنقلية المحددة وغير القابلة للشك، وجعل قضية المهدوية والانتظار كأساس لتنمية جميع العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية للمسلمين في عصر الغيبة، واقتراح خطة لتحرير المجتمعات الإسلامية من الخيوط المتشابكة للثقافة والحضارة الغربية وإيجاد حل لجميع المؤمنين لتجاوز تجارب نهاية العالم والفوضى المقترنة بها. قبل التطرق لأهم ملامح وجهة النظر الثقافية الاجتماعية، يجب التمهيد لها بذكر بعض النقاط:

كما قيل في دراسة الدور البناء للانتظار في التعاليم الشيعية، لا يعتبر المنقذ الموعود شخصية مرتبطة بالمستقبل ونهاية العالم وأنه سيخلص العالم من أي ظلم واستبداد فحسب، بل على عكس الأديان والمذاهب الأخرى، فهو شخصية خالدة تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

فمن جهة، يعتبر الإمام المهدي عجل الله فرجه شخصية تاريخية مرتبطة بالماضي، لأنه بناءً على أدلة تاريخية لا يمكن إنكارها، فقد ولد في وقت ومكان محددين ومن أسرة ونسب معروفين وشهد أحداثاً تاريخية مختلفة. ومن جهة أخرى، فإن هذا الإمام يمثل شخصية مرتبطة بالوقت الحاضر، لأنه وفقاً للعديد من النصوص، فإنه حجة الله على عباده في العصر الحالي وإمام عصر الشيعة، كما أن على الناس في الوقت الحاضر واجبات ومسؤوليات معينة تجاهه. أخيراً، حقيقة أن الإمام المهدي عجل الله فرجه مثل الموعود في الأديان الأخرى شخصية مرتبطة بالزمن المستقبلي، لأنه وفقاً لروايات لا حصر لها عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فقد قيل أنه بعد أن يمتلئ العالم بالظلم سيجعل العالم يمتلأ بالعدل والقسط ويمنح مستقبل البشرية الطابع الإلهي المنشود.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن حصر شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه في الماضي والاكتفاء بالحديث عن مواضيع مثل تاريخ الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى ونوابه الأربعة، هو ظلم واضح بحق هذه الشخصية. كما أنه حصره بالمستقبل فقط كمخلص موعود وشخص لن يكون إلا مصدراً للتغيير في المجتمعات البشرية في المستقبل المجهول هو ظلم كبير لحجة الله والإمام الحي والشاهد والمراقب لأحوال الناس. لذلك، لا يمكن الحصول على فهم شامل لشخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه وفكرة المهدوية والانتظار الشيعي إلا عندما نفحص مكانة ودور هذه الشخصية في الماضي والحاضر والمستقبل. بالإضافة إلى الاهتمام بالجذور التاريخية للفكر المهدوي، دعونا لا ننسى الواجبات التي تقع على عاتقنا تجاه ذلك الإمام الكريم في عصرنا الحاضر، عصر الغيبة، حيث يتعين علينا أن نبذل قصارى جهودنا لنيل مرضاته وتجنب غضبه.

ولعله يقال إن معنى معرفة إمام الزمان عجل الله فرجه التي أكد عليها النبي الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام في الروايات واعتبروا أن عدم معرفته يساوي الموت موتة جاهلية ما هو إلا هذا؛ لأن معرفة إمام الزمان عجل الله فرجه تنقذنا من الموت الجاهلي، حتى نستفيد من هداه بمعرفته وطاعة أوامره وتجنب نواهيه. وإلا فإن مجرد معرفة إمامنا في العصر الحالي، دون أن يكون لهذا الإمام دور في حياتنا وأفعالنا، لا يمكن أن يكون مصدراً للخلاص.

تشكلت وجهة النظر الثقافية الاجتماعية بناءً على هذا الموقف تجاه الانتظار وطرح وجهة نظر مختلفة مقارنة بما هو موجود حتى الآن في مجال ثقافة المهدوية. إذا أردنا أن نشير إلى أبرز المفكرين الذين حللوا ودرسوا الفكر المهدوي وثقافة الانتظار على أساس وجهة النظر الاجتماعية والثقافية وحاولوا إيجاد مخرج من مأزق عصر الغيبة بطرح هذا الفكر، يمكننا أن نجرؤ على القول إنه خلال أحد عشر قرناً مرت منذ الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه، لم يولِ فقيه أو خطيب أو فيلسوف أو مصلح اجتماعي هذا الاهتمام و لم يكن فعالاً في هذا المجال مثل الإمام الخميني.

بطرحه لفكرة تشكيل الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة والجهود الحثيثة التي بذلها لتحقيق هذه الفكرة، أعطى الإمام الخميني معنى ومفهوماً جديدين لـ «الانتظار» وقدم تعريفاً جديداً لمهمة وواجب الشيعة تجاه حجة الله.

في السنوات الأخيرة، حاولت مجموعة من أبناء الثورة الإسلامية الموالين لمثل الإمام الخميني شرح الزوايا الأخرى من وجهة نظر ثقافية واجتماعية مستوحاة من أفكار هذا الرجل الفاضل الحكيم. مع الفهم العميق للوضع الحالي للثورة الإسلامية في العالم، والاحتياجات الثقافية للمجتمع الإسلامي الإيراني، والظروف السياسية والثقافية والاقتصادية السائدة في العالم المعاصر، قامت هذه المجموعة بنشر وترويج المهدوية وثقافة الانتظار كفعاليات تتصدر أنشطتها. يعتبر هؤلاء أنه من الضروري التعامل مع القضايا التالية في العصر الحالي:

١. تحديد وانتقاد الجوانب الأساسية للثقافة والحضارة المغربية كثقافة وحضارة تتعارض بشكل جدي مع المثل العليا لـ «الحقيقة» و«الروحانية» و «العدالة» المهدوية؛ لأنه لا يمكن لأهل عصر الغيبة إلا الاعتصام بحبل الولاية المهدوية والانضمام إلى صف أولئك الذين ينتظرون المهدي المنتظر بكل معنى الكلمة، عندما يدركون بشكل صحيح زيف زمانهم ويسعون إلى التبرؤ منه بوجودهم كله.

٢. التعريف والنقد الجاد للعلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية الحاكمة للمجتمعات الإسلامية، والتي تشكلت في الغالب من خلال تقليد أنماط التنمية الغربية وتحت تأثير أفكار العصر الحديث في هذه المجتمعات. بدون فهم جاد لوضعها الحالي، لن تستطيع هذه المجتمعات إيجاد حلول قائمة على التعاليم الدينية للخروج من الفتن المنتشرة في عصر الغيبة.

٣. محاولة صياغة الاستراتيجيات السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية للمجتمعات الإسلامية في عصر الغيبة وحتى بلوغ العصر الذهبي للظهور وفي الفكر المهدوي وثقافة الانتظار.

٤. إعادة تعريف الجوانب الدينية والتاريخية والثقافية والاجتماعية للفكر المهدوي وثقافة الانتظار من خلال الاستفادة من المصادر المتقنة والجيدة واستخدام كافة إمكانيات المراكز العلمية الحوزوية والجامعية في القضايا الكلامية والفلسفية والعرفانية والأخلاقية والقانونية والسياسية وغيرها والسياسية

٥. محاولة صقل الفكر المهدوي النقي من أي احتمال للتزييف والتشويه وتخليص هذا الفكر من صدأ الجهل والخرافات والكلام الضعيف الذي لا أساس له وأي وجهة نظر منحرفة مبنية على الإفراط أو التفريط.

٦. تقديم الإجابة العلمية على الشبهات والأسئلة والغموض في مجال المهدوية الشيعية.

٧. إحياء وتوسيع ثقافة الانتظار والجهود المبذولة لإدراك الدور البناء لهذه الثقافة في استقرار وديناميكية المجتمعات الإسلامية.

٨. توضيح واجبات ومسؤوليات الناس أمام الله تعالى وإمام عصر٧، وترسيخ هذه الواجبات والمسؤوليات في الفرد والمجتمع، وتهيئة المجتمع الإسلامي لاستقبال الحدث المبارك بقدوم المخلص الموعود.

٩. المواجهة الجادة لكافة التيارات السياسية والثقافية المناهضة للمهدوية الشيعية من كتب ودوريات وأفلام وبرامج حاسوبية وقواعد معلومات عالمية (الإنترنت) من خلال نشر الثقافة المهدوية النقية ونقد واستقصاء التيارات والأفكار المنحرفة والانتقائية.

١٠. فحص وانتقاد الآراء التي طرحها المفكرون الماديون والطوائف المنحرفة في مجال عالم المستقبل ومستقبل العالم.

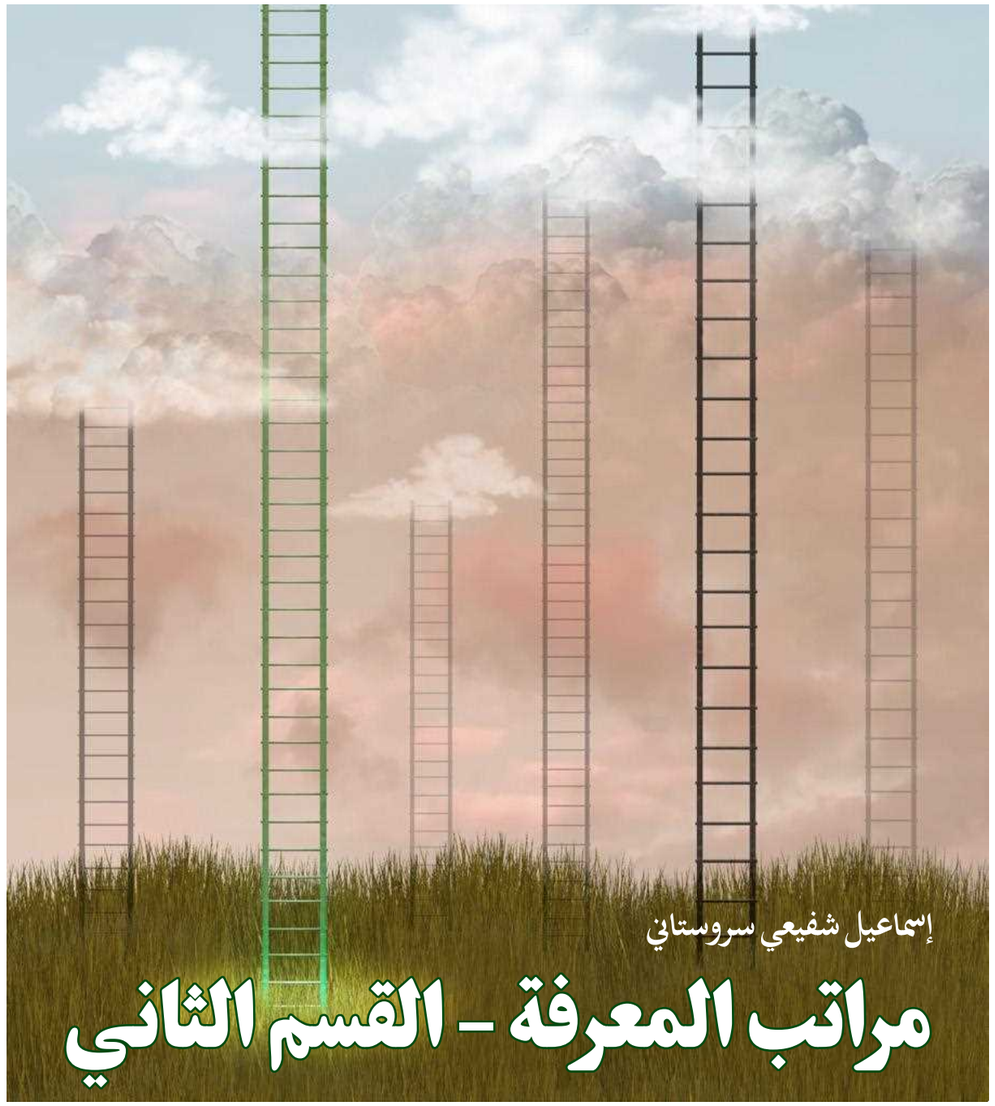

إسماعيل شفيعي سروستاني

مراتب المعرفة - القسم الثاني

في الجزء السابق، في بيان سلسلة مراتب معرفة الإمام، شرحنا أربع مراحل من أصل ست مراحل، والتي كانت: المعرفة بالاسم؛ معرفة سكان البادية، المعرفة بالأوصاف الخُلقية (معرفة سكان الشاطئ)، معرفة الظروف التاريخية والأوضاع السياسية والاجتماعية لعصر إمامة كل إمام (المعرفة الاستكشافية) و المعرفة بالولاية التشريعية للإمام (معرفة السباحين).

في هذا الجزء، سنتناول بيان مرتبتين عاليتين من مراتب معرفة الإمام.

٥. معرفة الولاية التكوينية للإمام؛ معرفة الغوّاصين

تُعد الولاية التكوينية أعلى مراتب الولاية وتعني إشراف الإمام على عالم الوجود والتي تُعطى من جانب الله تعالى للإنسان الكامل؛ وعليه، فان الإمام في مقام خليفة الله، مُنح حق التصرف.

والتكوين يعني التشكيل والخلق والإيجاد والإحداث[١] فيما تعني الولاية التكوينية الإشراف على عالم الوجود[٢] والإشراف على كائنات العالم[٣] وتولي مهمة تدبر أمرهم.[٤]

إن أبعاد الولاية التكوينية للأئمة، مختلفة وأن صدور المعجزات، يشكل أحد أبعادها والتي عُبّر عنها في لسان المتكلمين بالكرامة.[٥]

إن هذه الكرامة والتصرف، النابعان من الولاية التكوينية، يمتلكان الأبعاد التالية:

المعجزة والكرامة، التأثير على القلوب (الهداية المعنوية)، الأخبار الغيبية، معرفة حقائق الأشياء.

ويُقسم العلامة السيد حسن ميرجهاني طباطبائي ولاية الأولياء إلى قسمين هما: الولاية الجزئية والولاية الكلية، ويقول في وصف الولاية الكلية:

وأما الولاية الكلية، فهي خاصة بمخلوق يتمتع من حيث الصفات الكمالية بأعلى وأسمى المراتب والمقدم على كافة الخلائق والمخلوقات؛ أي الانسان الذي يكون بين الخلق أعلى وأرفع مرتبة من حيث كونه مظهرا للصفات الكمالية؛ لانه إن كان بين الخلق أحد أعلى منه من حيث المظهر، فلن يكون هو الولي المطلق؛ لان ذلك يتطلب أن يكون المفضول مقدم على الفاضل؛ أي أن من كانت مرتبته أدنى، ويكون مقدما على الشخص الذي تكون مرتبته أعلى وأرفع، فذلك قبيح.[٦]

... وفي الحقيقة، فان هذا الكائن، يكون بالضرورة ومن أي ناحية وفي جميع الصفات الكمالية لكائنات العالم، أتم و أكمل وأفضل وأشرف وأرجح وأوسع وأمتن وأسنى وأبهى وأعلى وأسدّ من عموم الكائنات في العوالم الإلهية غير المحصورة وغير المعدودة.[٧]

... إن من يعتبر خاتم الأنبياء، وصاحب الدين الكامل والعالمي وأن دائرة ولايته مستولية على الدوام على كل الكائنات حتى قيام القيامة الكبرى، يحظى بمقام الولاية الكلية أيضا. ولكي يكون صاحب الولاية الكلية وبإذن الله، أولى على نفس كافة المخلوقات وأمين خزانة العلوم الغيبية وأمين الأسرار الإلهية، ذُكرت شروط. وقد اختصت هذه الولاية بفيض الله ولطفه بالوجود المبارك لحضرة خاتم الأنبياء ﷺ وولي الله الأعظم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأحد عشر من أبنائه عليهم السلام وكذلك فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين.[٨]

شروط الولاية المطلقة والكلية الإلهية

لقد وردت في المصادر الوحيانية وروايات المعصومين عليهم السلام، شروط خاصة لاستقرار الولي في مقام وشأن «الولاية الكلية المطلقة»، نشير إليها باقتضاب:

١. العصمة الكلّية فطرةً؛ بمعنى أن صاحب الولاية المطلقة، يجب أن يحظى بالضرورة بالعصمة الكلية أيضا. وتتحصل العصمة والولاية الجزئية عن طريق مجاهدة الأولياء؛ وبالأحرى، فان أولياء الله، بوسعهم اكتساب هذه المرتبة من العصمة والولاية؛ غير أن متطلباتها تكمن في الولاية الكلية أيضا. إن هذه العصمة الكلية قد تحصلت للمعصومين عليهم السلام قبل الولادة بإذن الله ومن دون جهد، ولا تُنتزع منهم إلى أبد الآباد. وقد ورد هذا المعنى تماما في «آية التطهير».

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»[٩]

إن «حديث الكساء» يمثل أرضية نزول هذه الآية المباركة حول محمّد رسول الله ﷺ وفاطمة الزهراء عليها السلام والإمام علي عليه السلام والأوصياء الأحد عشرة من بعده وآخرهم حضرة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٢. ومن حيث التطهير لصفات الله، أن يكون أعلى وأرفع مرتبة من جميع المخلوقات. وفي الحقيقة، فان صاحب الولاية المطلقة هو المظهر التام والأتمّ للصفات الكمالية لله تعالى.

ويبرز مجمل معنى عبارة الأسماء الحسنى في هذا الموضوع.

«وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»[١٠]

إن الأسماء الحسنى هو مصطلح قرآني، ويعني أسماء الله الحسنى والتي استعملت في أربع سور قرآنية.[١١]

إن جميع الكلمات والمخلوقات الواضحة والخفية في جميع العوالم، هي اسم الله ومظهر الصفات الجمالية والجلالية لله؛ وفي هذا الخصوص، فان المعصومين عليهم السلام وأهل بيت النبي الأكرم ﷺ يتمتعون بأعلى رتبة وأفضل شأنا وأسمى تقربا إلى الله مقارنة بجميع سكان عالم الإمكان، ولذلك يُنادون بأكثر اسماء الله اصطفاء باعتبار الأسماء الحسنى.

وفي الاسلام، يُستخدم مصطلح الأسماء الحسنى لله تعالى، وذكروا أن هذه الأسماء هي في الغالب ٩٩ اسما. ووفقا للآية «لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» فان الأسماء الحسنى هي خاصة بالله تعالى، وذكرت بعض الروايات، أن أهل البيت هم مصداقها، إذ يجب التقرب إلى الله بواسطتهم.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«نحن والله الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد عملا إلّا بمعرفتنا.»[١٢]

ونقل **العياشي** (م ٣٢٠هـ .ق.) في ضوء الآية المذكورة عن الإمام الرضا عليه السلام:

«إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.»[١٣]

ويستند البعض إلى هذه الروايات ليقول أن القصد من الدعاء إلى الله هو التوسل إلى أهل البيت عليهم السلام.[١٤و١٥]

٣. يجب أن تكون لديه ولاية على جميع الممكنات؛ وبالأحرى، فان ولاية هذا الولي، تغطي جميع سكان العوالم الملكية والملكوتية (ما سوى الله)؛

٤. يجب أن يكون معصوما من الخطأ والسهو والنسيان، وعالما بصلاح وفساد كافة أعضاء الممكنات؛

٥. أن تكون قدرته محيطة بجميع الممكنات؛ لأنه مظهر الاسم الأعظم لله؛ بل مظهر جميع الأسماء الحسنى الإلهية وقلبه مكان مشيئة حادثة المخلوق وهو خازن العلم والحكمة وحافظ اثنين وسبعين حرفا للاسم الأعظم.[١٦]

إن زيارة «الجامعة الكبيرة» الشريفة، قد بيّنت أوجه كثيرة من شؤون ومقامات صاحب الولاية الكلية والمطلقة. إن الشخص رفيع المقام الذي يتمتع بالولاية المطلقة الكلية، هو صاحب كرامة ومُلمّ بحقائق الأشياء وعالم بالأخبار الغيبية بإذن الله، وقادر على التصرف في جميع القوانين المادية والفيزيائية وإحباط أثرها وضليع في الهدايةالمعنوية والتأثير على القلوب والاستحواذ عليها.

إن عموم زوار أئمة الهدى عليهم السلام أكانوا شبابا أو شيوخا، نساء أو رجالا يقرون بالولاية الكلية للأئمة المعصومين عليهم السلام؛ وعندما يلتئم ألوف الأشخاص في مكان واحد، ويلجأون من صميم الفؤاد وخفية، إلى الإمام الرضا عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، وينادونهم ويطلبون منهم قضاء حوائجهم والتصرف في جميع القواعد العادية السائدة في العالم المادي بما في ذلك علاج الأمراض العضال. وعندما يناجون الإمام في جوف الليل في صمت وخلوة، يقرون بان الإمام المعصوم عليه السلام حاضر وناظر لحال عباد الله في كل زمان ومكان وبعيدا عن جميع القيود.

إن حكاية نصرة الرسول الأكرم ﷺ للناس على لسان الشاعر مولوي، تستحق التوقف عندها، وتمثل نموذجا للولاية التصرفية والكلية لهذا المعصوم عالي المقام:

وكانت قافلة كبيرة من العرب قد علقت في صحراء قاحلة ومقفرة لا ماء فيها وخيم على رؤوسهم شبح الموت. وفي هذه اللحظة الرهيبة والمروعة، وصل النبي الأكرم ﷺ عندهم وقال لجمع منهم أن «يذهبوا بأسرع ما يمكن إلى خلف تلك التلال الرملية.»

فقال أفراد القافلة: يا رسول الله! ماذا هناك خلف التلال؟ فقال ﷺ: «في تلك الجهة، هناك غلام، يحمل قربة ماء وهو يمشي.»

وتوجه الجمع كلهم إلى خلف التلال وكما كان النبي ﷺ أخبرهم. رأوا غلاما يمتطي جملا وهو يحمل قربة مليئة بالماء. وأتى هؤلاء بالغلام إلى عند رسول الله ﷺ؛ في حين أن الغلام لم يكن يعرف النبي ﷺ. وقال رسول الله ﷺ لأهل القافلة: «اشربوا من الماء الموجود في قربة هذا الغلام واختزنوا قليلا منه.»

وشرب كل هؤلاء العطاشى من مياه القربة وسقوا جمالهم به أيضا، وملأوا جميع قربهم، وبعد هذا كله، كانت قربة الغلام مليئة بالماء...[١٧]

وبعد هذه المرتبة من المعرفة (الولاية التكوينية) للإمام، يظهر أمام طالب المعرفة، موضوع المعرفة بنورانية الإمام، أي معرفة مكانته ومقامه في عالم وساحة أرفع وأعلى من العالم الملكي وحتى العالم الملكوتي.

إن أول دفتر لمعرفة نورانية الإمام، هو الطلب والظمأ والرجاء؛ مثل أبو ذر وسلمان ومثل الذين علقوا في الصحراء وهم يبحثون عن الماء؛ لا كالذين يقطنون الساحل الآمن ممن لا يعرفون شيئا عن معنى العطش والماء، أو كالسابحين ممن ينزلون إلى الماء من منطلق الترفيه والتسلية أو كالغواصين ممن يغوصون أعماق البحر طلبا للدرّ. ومن هنا، يُفتح دفتر مرتبة من علم الوجود الولائي.

٦. المعرفة بالنورانيّة (الفراشات المحترقة الأجنج)

إن موضوع المعرفة بالنورانية معطوف على علم الوجود والمعرفة الخاصة بالوجود ومبني على الفكر الولائي الشيعي.

وفي هذا النوع من النظرة إلى الوجود، وعلى الرغم من عامة الرؤى المادية التي تعطف بداية خلق الوجود إلى خلق العالم المادي، فان بدء خلق الوجود، ليس العالم الماديّ، بل عالم المعنى والأرواح والأنوار وأن صدر المجلس وتدشين دفتر الخلق، هو الخلق النوري والروحي لآل محمّد ﷺ؛ مثلما قال الرسول الأكرم ﷺ:

«أوّل ما خلق الله نوري.»[١٨]

وبالأحرى، فان تراتيبية خلق الوجود، بدأت من كائن نوريّ ومن ثم تصل إلى سائر العوالم والمخلوقات، وأسفلها وأدناها، هو عالم الأجسام والمادة الفظّ والخشن.

وبذلك، وبالرغم من حضور ووجود محمّد وآل محمّد ﷺ في الهيكل الجسماني وفي العالم المادي، متأخر، بيد أن حضورهم في الهيكل النوراني والروحي مقدم على جميع المخلوقات المقيمة في عالم الإمكان بما فيها الملائكة والسماوات والأرضين.

إن المعرفة بنورانية أهل البيت عليهم السلام وحقيقة وجودهم، يندرج ضمن أعلى مراتب معرفتهم. وفي هذه المرتبة، يذهب أهل المعرفة إلى أعلى من الساحة الجسدية والصفات الظاهرية والخصال الباطنية للإمام ويتميزون بمعرفة أسمَى ويعترفون بالمراتب النورية العليا والحقيقة الباطنة للإمام عليه السلام.

وتعود بداية الحديث عن المقام الملكوتي لا الجسماني والدنيوي للإمام إلى حديث «معرفة أمير المؤمنين بالنورانية».[١٩] روى عن محمّد بن صدقة أنّه قال:

سأل **أبو ذرّ الغفاريّ، سلمان الفارسيّ** رضى الله عنهما: يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنّورانيّة؟

(إن طرح هذا السؤال والعمل لتلقي الجواب من قبل اثنين من أخلص الأصحاب الخاصين وأصحاب سر الإمام علي عليه السلام، مؤشر على أن هذه المرتبة من المعرفة بالإمام، خاصة بالأولياء والذين أمضوا المراتب الدنيا وارتقت روحهم في الإيمان الكامل لمرتبة باتوا يطلبون المعرفة السامية بنورانية الإمام.)

قال: يا جندب فامض بنا حتّى نسأله عن ذلک. قال فأتيناه فلم نجده قال فانتظرناه حتّى جاء قال عليه السلام: **«ما جاء بكما؟»** قالا: **جئناک يا أمير المؤمنين نسألک عن معرفتک بالنّورانيّة.** قال عليه السلام: **«مرحبا بكما من وليّين متعاهدين لدينه لستما بمقصّرين لعمرى إنّ ذلک الواجب [واجب] على كلّ مؤمن و مؤمنة.»**

ثمّ قال عليه السلام: **«يا سلمان و يا جندب!»** قالا: **لبّيک يا أمير المؤمنين!** قال عليه السلام:

«إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفنى كنه معرفتى بالنّورانيّة فإذا عرفنى بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان و شرح صدره للإسلام و صار عارفا مستبصرا و من قصّر عن معرفة ذلک فهو شاکّ و مرتاب...» [20]

وبهذه المقدمة وتبيان ضرورة ووجوب كسب المعرفة بالنورانية والتأكيد على العمل والمجاهدة لكسب هذا العرفان والمعرفة، أمسك الإمام عليه السلام بيد سلمان وأبو ذر، ليوصلهما شيئا فشيئا ومرحلة بمرحلة إلى المراتب العليا للمعرفة بنورانية الإمام.

بعبارة أخرى، ففي هذه المرحلة، يكون الإمام قد أمسك بيد طالب المعرفة، ويتقدم به خطوة فخطوة؛ لان بلوغ هذه المرتبة من معرفة الإمام، غير ممكن إلا للأصحاب والمؤمنين الخاصين، وبالتحديد من خلال نصرة وهداية الإمام لهم.

ابحث قليلا عن الماء واحصل على الظمأ
لكي يتدفق الماء من الأعلى والأسفل
وطالما لا تلد الأم رضيعها
متى يسيل اللبن من ثدييها
اركض باتجاه الأعالى والمنخفضات
لكي تصبح رهينة الظمأ والحرّ
ومن بعدها ينطلق نداء من النحل
أن اشرب الماء أيها العظيم [21]

الهوامش:

١. صليبا، جميل وصانعي درّه بيدي، منوجهر، «المعجم الفلسفي»، طهران، حكمت للنشر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣هـ .ش.، ص ٢٥٢.
٢. همّتي، همايون، «الولاية التكوينية»، طهران، أمير كبير للنشر، ١٣٦٣ش.، ص٨١.
٣. جوادي آملي، عبد الله، «ولاية الفقيه، الفقاهة والعدالة»، قم، مركز اسراء للنشر، ١٣٧٩هـ .ش.، ص ١٢٣.
٤. طباطبائي، سيّد محمّد حسين، «تفسير الميزان»، ترجمة محمّد باقر همداني، مؤسسة العلامة العلمية الثقافية، ١٣٨٣هـ .ش.، ج ٦، ص ١٥.
٥. علائي، محمّد ناصر، «نمو تعليم المعارف الإسلامية»، سيرة حياة المعصومين، ١٣٧٠هـ .ش.، العدد ٥٣.
٦. مير جهاني طباطبائي، العلّامه سيّد حسن، «الولاية الكلّية»، الهادي للنشر، ١٣٨٢هـ .ش.، ص ٢٧٦.
٧. المصدر السابق، ص ١٨.
٨. المصدر السابق، ص ٢٩.
٩. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
١٠. سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
١١. سورة طه، الآية ٤٨؛ سورة الحشر، الآية ٢٤؛ سورة الأعراف، الآية ١٨٠ وسورة الإسراء، الآية ١١٠.
١٢. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ١، صص ١٤٣-١٤٤.
١٣. العيّاشي، محمّد بن مسعود، «كتاب التفسير»، تحقيق سيّد هاشم رسولي محلّاتي، طهران، المطبعة العلمية، ١٣٨٠هـ .ق.، ج ٢، ص ٤٢.
١٤. أنظر دهكردي اصفهاني، «اللمعات، في دعاء السمات»، قم، بوستان كتاب، ١٣٨٥هـ .ش.، صص ٢٨-٣٥.
١٥. الموسوعة الافتراضية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويكي شيعة، على العنوان: https://fa.wikishia.
١٦. للمزيد من الدراسة راجع الصفحات ٢٦-٣٠ من كتاب «الولاية الكلّية» للمرحوم العلّامه جهاني.
١٧. مأخوذ من مولانا، «المثنوي المعنوي»، الدفتر الثالث، القسم ١٤٨: قصة نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لقافلة من العرب ممن علقوا في الصحراء وقاسوا من العطش وانعدام المياه:

في ذلك الوادي، مجموعة من العرب// جفت قربهم من قحط المطر// وعلقوا في تلك الصحراء القاحلة// وقافلة رأت الموت يخيم على رؤوسها// وفجأة ظهر مغيث الكونين//المصطفى في الطريق من أجل تقديم العون والنجدة...

١٨. حافظ البرسي، رجب بن محمّد، «مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام»، بيروت، الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. ق.، ص ٤٤؛ ابن أبي جمهور، محمّد بن زين الدّين، «عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية»، قم، دار سيّد الشّهداء للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ. ق.، ج ٤، ص ٩٩.
١٩. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رواية طويلة متوجها إلى سلمان وأبو ذر: «معرفة الله عزّ وجلّ معرفتى بالنّورانيّة وهو الدّين الخالص...»؛ المجلسي، محمّد باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ. ق.، ج ٢٦، ص ٢.
٢٠. المجلسي، محمّد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٢٦، ص ١.
٢١. مولانا، «المثنوي المعنوي»، الدفتر الثالث، القسم ١٥١.

المصدر: شفيعى سروستانى، إسماعيل، «السير الاستكمالي للإنسان مع الإنسان الكامل»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤ م.، صص ٨٨-٩٥.

المهدوية في القرآن

د.مسعود دريس

لم يرد ذكر القضية المهدوية في القرآن الكريم بشكل صريح، ولكن في كتاب معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه اعتبر الباحثون بعض الآيات القرآنية مرتبطة بالقضية المهدوية. يستخدم المفسرون الشيعة مجموعتين من الآيات القرآنية لمعالجة قضية المهدوية.

أولاً: الآيات الدالة على ضرورة وجود الإمام

مثل الآية ٧ من «سورة الرعد»: **«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.»** التي قال عنها الإمام الباقر عليه السلام، الإمام السادس عند الشيعة في تفسيره للآية: **«و الله ما ذهبت منا و ما زالت فينا إلى الساعة.»** [1]

ثانياً: الآيات المبشرة بحكومة الصالحين

مثل الآية: **«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.»** [2]

و الآية ٥ من «سورة القصص»: **«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»**

وأيضاً في الآية ٥٥ من «سورة النور»: **«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.»**

يصف الله ولاية وخلافة المؤمنين والصالحين بأنها وعد إلهي لعباده المؤمنين ويبشرهم بالأمن والسلام.

ويرى مفسّرو الشيعة، واستناداً إلى أقوال أهل البيت عليهم السلام، أن القرآن الكريم تحدث عن خصائص عصر الغيبة، وعلامات عصر الظهور والعصر الذي بعده.

ثالثاً: خصائص عصر الغيبة

بالتأكيد. فيما يلي شرح موسع للجزء الثالث حول صعوبات عصر الغيبة وابتلاءات الشيعة، مستوحى من روايات كتب «الغيبة» للنعماني و«كمال الدين» للصدوق:

في عصر غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، يواجه الشيعة اختبارات إيمانية شديدة تهدف إلى تمحيص إيمانهم وثباتهم على الولاية. فإن هذا العصر يتميز بظهور الفتن والشبهات التي تمزّ يقين الكثيرين، حيث يسلط الطغاة والحكام الجائرون قبضتهم على المجتمع، وتنتشر الأزمات الاقتصادية من فقر وجوع، بالإضافة إلى الضغوط النفسية الناتجة عن طول الغيبة وعدم وضوح الرؤية. في خضم هذه التحديات، يثبت المؤمنون الحقيقيون على عقيدتهم عبر التمسك بالتقوى والصبر والانتظار الإيجابي للفرج.

كما تؤكد الروايات أن هذه الابتلاءات– مثل فقدان الأمن ونقص الثمرات وتسلط الأعداء – هي جزء من السنن الإلهية لتمييز الصادقين من المنافقين، حيث ينهار كل من كان إيمانه سطحياً أو مصلحياً، بينما يخرج المؤمنون المخلصون من هذه المحن بإيمان أعمق وولاية أرسخ للإمام الغائب. وهكذا يصبح عصر الغيبة بمثابة بوتقة تُختبر فيها نقية العقيدة، ويتحول الانتظار من حالة سلبية إلى مشروع بناء ذاتي وجهادي استعداداً لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

انظر الآيات ١ الى ٣ من «سورة البقرة»؛ قال الله تعالى: **«الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ»**

وعن مكانة الصبر: **«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ»**[3]

والصبر التام على البلاء:

«سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ.»[4]

«ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينٗا.»[5]

واختبارهم الشديد:

«وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ»[6]

وظروف المعيشة الصعبة للمنتظرين:

«حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ.»[7]

والجزاء على هذه الصعوبات: **«وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا.»**[8]

وفي الآية ٤٦ من «سورة إبراهيم» يشير القرآن إلى المؤامرات التي تتم بهدف إضعاف إيمان الناس: **«وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ»**

وقد فسر الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية في حديث له بأنها محاولة من الأعداء في عصر الغيبة لتشتيت إيمان الناس بالقضية المهدوية.

رابعاً: مسألة الاختلاف في الاعتقاد

«يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ.»[9]

وتيه الناس في معرفة الحق:

«هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ.»[10]

وقسوة القلوب: **«أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ.»**[11]

وإنكار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وتكذيبه. لن يبقى الزمان في عصر الغيبة **«بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا»**[12] ثابتاً إلا على من قوي يقينه وصدق علمه، وخضع لنا أهل البيت. وهذا من المواضيع التي يستشهد فيها المفسرون الشيعة بآيات مختلفة في القرآن الكريم.

خامساً: علامات الظهور

وعلامات الظهور هي أيضًا موضوع يشير إليه المفسرون؛ مثل– القتل غير المسبوق للناس:

«فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ.»[13]

وقتل من يحارب ظالمي النبي وأهل بيته:

«وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا.»[14]

ونزول العذاب في عصر الغيبة للاختبار وعقاب المذنبين وتعذيبهم:

«فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ.»[15]

الهوامش:

١. النعماني، «الغيبة»، ص ١١١.
٢. سورة الانبياء، الآية ١٠٥.
٣. سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.
٤. سورة النور، الآيات ١–٣.
٥. سورة النساء، الآية ٥٩.
٦. سورة البقرة، الآية ١٥٥.
٧. سورة يوسف، الآية ١١٠.
٨. سورة النساء، الآية ١١٠.
٩. سورة الشورى، الآية ١٨.
١٠. سورة يونس، الآية ٥.
١١. سورة الحديد، الآية ١٦.
١٢. سورة الفرقان، الآية ١١.
١٣. سورة مريم، الآية ٣٧.
١٤. سورة الإسراء، الآيات ٤–٦.
١٥. سورة فصلت، الآية ١٦.

تجديد البيعة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

محمدتقي الموسوي الاصبهاني

بعد كلّ فريضة من الفرائض الخمس اليوميّة، أو في كلّ يوم، أو في كلّ جمعة، و الكلام هنا تارة في معنى البيعة، و اخرى في حكمها فهاهنا بحثان، الأوّل: في معنى البيعة لغة و شرعا، فنقول: قد يطلق

البيعة و المبايعة على المعاهدة و المعاقدة، قال في «مجمع البحرين»: **المبايعة: المعاقدة و المعاهدة، كأنّ كلا منهما با ع ما عنده من صاحبه، و أعطاه خالصة نفسه، و دخيلة أمره.**[1]

و قال الشيخ **أبو الحسن الشريف** تلميذ **المجلسيّ الثاني** (صاحب البحار)في كتاب «مرآة الأنوار و مشكاة الأسرار»: **البيعة عبارة عن المعاقدة و المعاهدة، كأنّ كلّ واحد منهما با ع ما عنده من صاحبه و أعطاه خالصة نفسه،** إنتهى.[2]

أقول: الحاصل من معنى المبايعة هو التزام المبايع، و عهده المؤكّد، و ميثاقه المسدّد، بأن ينصر من يبايعه بنفسه و ماله، و لا يبخل عنه بشي ء من ذات يده، و ما يتعلّق به في نصرته، و يجعل نفسه و ماله فداء و وقاء له.صلى الله عليه وآله

و البيعة بهذا المعنى مذكورة في دعاء العهد المروي لكلّ يوم، و في «دعاء العهد» المروي لأربعين صباحا.

و قد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله جميع الامّة بمبايعة الأئمّة عليهم السلام بهذه البيعة، الشاهد منهم و الغائب، في خطبة الغدير المرويّة في الإحتجاج [3] و لا شكّ أنّ المبايعة بهذا المعنى من لوازم الإيمان و علائمه بل لا يتحقّق الإيمان بدونه، فالمبايع هو المؤمن و المشتري هو الله عزّ و جلّ، و لذلك قال عزّ من قائل:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.»[4]

و قد بعث الله تعالى أنبياءه و رسله لتجديد تلك المبايعة و تأكيدها، فمن بايعهم فقد بايع الله، و من تولّى عنهم فقد تولّى عن الله، و لهذا قال جلّ شأنه:

«إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً»[5]

في هذه الآية الشريفة أيضا دلالة على كون المراد بالبيعة و المبايعة هو العهد المؤكّد، و الميثاق المسدّد مع الله و رسوله، و وعد الموفين بتلك المعاهدة الأجر العظيم، و هذه البيعة إنّما تتمّ بأمرين:

أحدهما: العزم القلبيّ الثابت الراسخ على إطاعة أمر الإمام و نصرته ببذل النفس و المال، كما نبّه عليه في الآية الشريفة بقوله تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ** »، فإنّ الواجب على البائع تسليم ما يبيعه إلى المشتري إذا طلب منه من دون تأمّل و تأخير، و تصديق ما عقد عليه الضمير.

و **الثاني:** إظهار ما قصده و عزم عليه قلبا بلسانه مقترنا لهما عند إرادة البيعة فإذا تمّت البيعة، كما أنّ عقد البيع لا يتحقّق في سائر الامور إلّا بشيئين:

١. قصد إنشاء البيع بمقتضى ما بنى عليه المتبايعان؛

و٢. التلفّظ باللسان بما عقدا عليه ضميرهما، و بهما يتمّ البيع، و قد تطلق البيعة و المبايعة على المصافقة باليد، كما كان متداولا بين العرب في بعض الأحيان، عند تماميّة البيع أو المبايعة، و يستفاد هذا الإطلاق من قوله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**» الآية[٦] لدلالة لفظة يد على ذلك، مضافا إلى ما ورد من أنّهم كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وآله بأيديهم، فراجع.[٧]

و في «الإحتجاج» في قضيّة إكراه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على مبايعة الغاصب اللّعين الأوّل، قال: ثمّ مدّوا يده و هو يقبضها حتّى و ضعوها فوق يد أبي بكر و قالوا: بايع بايع، و صيح في المسجد بايع أبو الحسن، الخبر.

و في الإحتجاج أيضا: في الرواية عن مولانا الباقر عليه السلام أنّ اسامة حين ورد المدينة لما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «**ما هذا؟**» قال له عليّ عليه السلام: **هذا ما ترى،** قال له اسامة: **فهل بايعته؟** فقال: **نعم، يا اسامة.** فقال: **طائعا أو كارها.** فقال عليه السلام: **لا، بل كارها.**[٩]

فظهر ممّا ذكرنا و غيره أنّ إطلاق المبايعة و البيعة علي المصافقة و الصفقة كان متداولا معروفا، و كذا تطلق الصفقة على البيعة أيضا، كما ذكره أهل اللغة، يقال: صفقة رابحة أو خاسرة أي: بيعة.

و في الحديث: بارك الله في صفقة يمينك [١٠] و قال الشاعر:

الدهر ساومني عمري فقلت له
ما بعت عمري بالدنيا و ما فيها
ثمّ اشتراه بتدريج بلا ثمن
تبّت يدا صفقة قد خاب شاريها

و في الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**من فارق جماعة المسلمين و نكث صفقة الإمام جاء إلى الله عزّ و جلّ أجذما...**»[١١]

هذا، و لكن لا يخفى عليك أنّ نفس المصافقة ليست بيعة حقيقة، بل هي علامة لوقوع البيعة و تماميّتها، و الظاهر أنّ إطلاق المبايعة و البيعة على المصافقة من باب تسمية المسبّب باسم السبب، و أصل البيعة و حافّها كما حقّقنا: هو العهد، و الميثاق المؤكّد، و به يدخل الإنسان حقيقة في زمرة أهل الإيمان، المشترين للجنان، و إن لم يبايع الرسول أو الإمام بالمصافقة باليد، كما هو الحال في أكثر المؤمنين الحاضرين في زمن الأئمّة عليهم السلام، و سننبّهك على ما يشهد لهذا المرام، بعون الملك العلّام، فانتظر لتمام الكلام، فإنّ هنا من مزالّ الأقدام، نسأل الله تعالى العصمة ببركة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

في حكم البيعة

إنّ البيعة بالمعنى الأوّل واجبة على كلّ أحد من ذكر و أنثى، و حرّ و مملوك، بل لا يتحقّق الإيمان بدونه لأنّ حاقّ الإيمان هو الإلتزام قلبا و لسانا بإطاعة أمر النبيّ و الإمام، و التسليم لهما، و النصرة لهما ببذل النفس و المال، قال الله عزّ و جلّ: «**النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** »[١٢] و قال تعالى: «**فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**»[١٣] فالتسليم لأمر النبيّ و الإمام فيما يتعلّق بالنفس و الأهل و المال علامة تحقّق الإيمان.

و ممّا يدلّ على وجوب المبايعة لجميع الأئمّة عليهم السلام ما روي في الإحتجاج في خطبة يوم الغدير من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر معاشر الناس بمبايعة أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و الأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام و لقّنهم العهد و الميثاق بإطاعتهم، مع أنّهم عليهم السلام لم يكونوا معاصرين لأهل ذلك الزمان، و ما هذا إلّا لوجوب التزام الناس قلبا و لسانا و تعهّدهم بالعهد المؤكّد و الميثاق المسدّد بموالاتهم و نصرهم و بذل أنفسهم و أموالهم دونهم و لإطاعة أمرهم عليهم السلام.

و إلى جميع ما نبّهنا عليه يرشد قوله تعالى:

«**قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ**»[١٤]

و هذا لكمال وضوحه لا يكاد يحتاج إلى إقامة دليل و برهان.

و يدلّ عليه من طرق العامّة ما عن صحيحي **مسلم** و **البخاري**، و «ربيع الأبرار» للزمخشري، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من مات و ليس في عنقه لإمام المسلمين بيعة، فميتته ميتة جاهليّة.**»[١٥]

إذا عرفت ما ذكرناه فنقول: يستحبّ تجديد تلك البيعة في كلّ يوم، بما ذكره السيّد الأجلّ عليّ بن طاووس في كتاب مصباح الزائر، و ذكره غيره أيضا من علمائنا في كتبهم، حيث أنّهم ذكروا فيما يستحبّ قراءته كلّ يوم بعد صلاة الفجر أن يقال:

«**اللّهمّ بلّغ مولاي صاحب الزّمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين و المؤمنات، في مشارق الارض و مغاربها، و برّها و بحرها، و سهلها و جبلها، حيّهم و ميّتهم، و عن والديّ و ولدي و عنّي، من الصّلوات و التّحيّات زنة عرش الله، و مداد كلماته، و منتهى رضاه، و عدد ما احصاه كتابه، و احاط به علمه اللّهمّ اجدّد له في هذا اليوم و في كلّ يوم عهدا و عقدا و بيعه له في رقبتي اللّهمّ كما شرّفتني بهذا التّشريف، و فضّلتني بهذه الفضيلة، و خصّصتني بهذه النّعمة، فصلّ على مولاي و سيّدي صاحب الزّمان، و اجعلني من اشياعه و انصاره، و الذّابّين عنه، و اجعلني من المستشهدين بين يديه، طائعا غير مكره، في الصّفّ الّذي نعتّ أهله في كتابك فقلت صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ على طاعتك و طاعة رسولك و آله عليهم السلام. اللّهمّ انّ هذه بيعة له في عنقي الى يوم القيامة.**»[١٦]

قال المولى المجلسيّ رحمه الله في مزار البحار بعد ذكر هذا العهد: **وجدت في بعض الكتب القديمة بعد ذلك (و يصفق بيده اليمنى على اليسرى) إنتهى كلامه و رفع مقامه.**

الهوامش:

١. «مجمع البحرين»، ج ١، ص ٢١٠، س ٥.
٢. «مرآة الأنوار»، ص ٩٩.
٣. الطبرسي، «الاحتجاج»، ج ١، ص ٧٤، حديث احتجاج النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير.
٤. سورة التوبة، الآية ١١١.
٥. سورة الفتح، الآية ١٠.
٦. سورة التوبة، الآية ١١١.
٧. سورة الفتح، الآية ١٠.
٨. راجع إلى «بحار الانوار»، ج ٣٧، ص ٢١٧.
٩. الطبرسي، «الاحتجاج»، ج ١، ص ١١٥.
١٠. «سنن البيهقي»، ج ٦، ص ١١٢؛ «مسند أحمد»، ج ٤، ص ٣٧٦.
١١. الكليني، «الكافي»، ج ١، ص ٤٠٥.
١٢. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
١٣. سورة النساء، الآية ٦٥.
١٤. سورة التوبة، الآية ٢٤.
١٥. «صحيح المسلم»، ج ٣، ص ١٤٧٨؛ «ربيع الأبرار»، ج ٤، ص ٢٢١.
١٦. «مصباح الزائر»، ص ٥٤٥؛ ابن المشهدي، «المزار الكبير»، ص ٦٦٢.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقي، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام»، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، صص ٢٦٢-٢٦٨؛ بالتلخيص.

أصغر عليّ شاه

ولد **أصغر عليّ شاه** حوالي سنة ١٣٣٤هـ. (١٩١٦م) في «باكستان»، نشأ وتربّى في أوساط بيئة أملت عليه العقيدة السنيّة، فكوّن عقائده وبنى نسيجه الفكري وسط الأجواء السنيّة التي عاش فيها، فأصبح سنيّاً يعتقد بما ورثه من عقائده حول أصول الدين ولا سيّما ما يخصّ مسألة الخلافة الإسلاميّة.

يحدّثنا عليّ أصغر شاه – وقد صار عالماً دينياً وخطيباً وأستاذاً – عن مذهبه ومعتقده السابق في خصوص مسألة الخلافة:

كانت عقيدتي في الخلافة أنّها بدأت بأبي بكر، وانتهت بعلي عليه السلام، وأنّ الخلفاء كلّهم على حقّ.

ولكن أصغر عليّ شاه لم يقف عند حدود معرفته الموروثة، بل فكّر وتدبّر في تلك العقائد وأدلّتها، وسأل نفسه: هل تملك هذه العقائد رصيداً كافياً من الأدلّة بحيث تمنحها الشرعيّة، وتعطيها صفة المقبولية، ولزوم الاتباع؟!

وبعد التمحيص وغربلة الأقوال والأدلّة، وبعد البحث الجاد والمطالعة الهادفة، توصّل أصغر عليّ شاه عن دليل وبرهان، إلى الحقيقة، وكانت تلك الحقيقة هي: أنّ الطريق الصواب، والمذهب الصحيح، هو اتّباع الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ هذه حقيقة لايمكن إنكارها، أو غض الطرف عنها، فتذوّق أصغر عليّ شاه حلاوة الحقيقة، وارتشف من رحيقها، واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأعلن تشيّعه عام ١٣٧٤هـ. (١٩٥٥م).

قال عليّ أصغر شاه بعد اعتناقه مذهب التشيّع: **أمّا الآن فأعتقد: أنّ الخليفة الحقيقي هو الإمام علي عليه السلام، وأنّه سيّد المسلمين، وشيخ المهاجرين والأنصار، والسابق في الإسلام.**

أسباب استبصاره

يقول أصغر عليّ شاه:

السبب الباعث على اعتناقي المذهب الشيعي، هو أنّي أمعنت النظر في الآراء المتضاربة بين الشيعة والسنّة، فنظرت في أدلّة كلا الفريقين، وطالعت مؤلّفاتهما المختلفة – حسب وسعي وطاقتي – فانتهت بي إلى هذه النتيجة وهي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الإنسان الفذ، الذي لا يدانيه ولن يدانيه أحد من هذه الأمّة المحمدية، ومن بعده العترة الطاهرة، ذريّة الرسول، فإنّهم هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله حقاً، هداة الدين، وقادة الإسلام، من تمسّك بهم نجى، هم ربّانيّوا سفينة النجاة، والثقل الأصغر، والأحق بالخلافة النبوية، والحكومة الإلهية، وبإقامة الحدود الشرعيّة وتنفيذها.

والحسد القبائلي حال دون المسلمين، فلم تجتمع كلمتهم على اتّباع عترة نبيهم.

ويضيف أصغر عليّ شاه بقي هذا الإفراط يتزايد يوماً فيوماً، فحرم الناس من معرفة آل محمّد عليهم السلام وطريقتهم ومذهبهم، وممّا لا شكّ فيه أنّ الإنسان السعيد في مثل هذه الحالات العصيبة يعرض عن هذه الهفوات، فيتمسّك بذيل الروايات المسلّمة بين الفريقين.

النظرة الموضوعية

كانت نظرة أصغر عليّ شاه خلال بحثه العقائدي نظرة موضوعية، بعيدة عن التعصّب الأعمى، وكانت نظرته عقلائية دفعته إلى دراسة المسائل بصورة حيادية، بعيدة عن الميول والرغبات التي قد تدفع الباحث إلى عدم تقبّل الحقّ،فيما لو كانت النتيجة مخالفة لهواه.

فعندما وجد أصغر عليّ شاه أمامه رؤية مذهبية جديدة، وعقيدة مغايرة لما هو عليه، لم يرفضها مباشرةً، ولم يخطىء منتميها ومعتقديها، بل تعامل معها بشكل منطقي، وبعيد عن التعصّب أو التحجر، كما أنّه لم يتعامل مع ما عنده من معتقدات ورؤى على أنّها ثابتة ومسلّمة غير قابلة للنقاش والنقد، بل جعلها في معرض البحث والجدل، وجوّز عليها الخطأ، فرأى نفسه بين مذهبين، كلّ منهما يدّعي أنّه على الحقّ، وكلّ منهما يطرح أدلته وعقائده وأفكاره، وكلّ منهما يدّعي أنّ مشروعيّته من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ومن هذا المنطلق جعل أصغر عليّ شاه أقوال الرسول صلى الله عليه وآله السبيل لمعرفة الحقيقة والطريق الموصل للصواب؛ لأنّها أوضح دليل، وأتمّ برهان لتمييز الحقّ عن غيره، فإنّ ما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله هو الحقّ واليقين، ويجب اتباعه. قال تعالى:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»[1]

«وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»[2]

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً»[3]

فهذه الآيات المباركة تأمر جميع المسلمين بالانقياد لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله والانصياع إليها، ومع حصول التنازع لابد من الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وآله لمعرفة حكم الله تعالى في مورد التنازع والاختلاف و من أهم المسائل الخلافية والأخطر بين المسلمين، بل والمنشأ الأوّل للاختلافات بينهم، هي قضيّة الخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فذهب أهل السنّة إلى أن الخلافة ليست بالنصّ، وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يعيّن أحداً للخلافة من بعده، وذهبت الشيعة إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عيّن الإمام علي عليه السلام للخلافة، وجعله إماماً على المسلمين من بعده، وجعل الإمامة والخلافة بالنص.

وتعد مسألة الخلافة والإمامة من أهم المسائل التي كانت وما تزال الأكثر جدلاً في الساحة العلمية في الأوساط الإسلاميّة، فعلى المنصف المحايد الذي يريد التوصّل إلى الحقيقة والصواب أن يمعن النظر في أقوال الرسول صلى الله عليه وآله و أوامره، فإنّ فيها الهداية ومعرفة الصواب والحقّ.

الهوامش:

١. سورة الحشر، الآية ٧.
٢. سورة آل عمران، الآية ١٢٣.
٣. سورة النساء، الآية ٥٩.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٦، صص ٢٣.

حقّ الكرامة و حقّ التعليم

إنّ غاية الإسلام الأساسية هي إقامة مجتمع سليم، مبني على أساس العدالة و يتطلب هذا التوجه – بطبيعة الحال – الاهتمام برعاية الحقوق المتبادلة بين أفراد المجتمع.

وقد بحثنا في الفصل الاول حول الحقوق العامه كحق الحياة و حقّ الكرامة و حق التربية و التعليم و..

هناك مجموعة من الحقوق العامة تتعلق بحقّ الفرد كإنسان يؤكد الإسلام على مراعاتها، ما لم تتصادم بحق أو حقوق أُخرى و هي على أنواع. نذكر في هذا المقال حول حق الكرامة و حق التعليم.

حق الكرامة

إهتم الإسلام – أيضاً – بحق آخر لا يقلُ أهمية عن حق الحياة ألا و هو حق الكرامة.

و يراد بالكرامة: امتلاك الإنسان بما هو إنسان للشرف و العزّة و التوقير. فلا يجوز انتهاك حرمته و امتهان كرامته، فالإنسان مخلوق مُكرَّم، قد فضله الله تعالى على كثير من خلقه، «**ولقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممَّن خلقنا تفضيلاً.**»[1] هي كرامة طبيعية متّع الله تعالى كل أفراد الإنسان بها. و هناك كرامة إل–هية تختص بمن اتقى الله تعالى حق تقاته: «**يا أيُّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكمَ.**»[2]

وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يراعون كرامة الناس من أن تمس، حتى انهم طلبوا من أرباب الحوائج أن يكتبوا حوائجهم حرصاً على صون ماء وجوههم. و هناك رواية نبوية تتحدث عن كرامة الإنسان التي لا يجوز

المساس بها عن طريق سَبّه أو تقبيح وجهه، و ما إلى ذلك. ولكن هذه الرواية حُرّفت بحذف أولها، فتغيرت دلالتها إلى ما فيه التجسيم لله تعالى، و ان كان ظاهرها يتضمن معاني التكريم للإنسان.

لقد سعى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى قشع العتمة التي تُخيم على عقول بعض الناس و واجه السذاجة الفكرية و فضح التحريف الذي يحصل في المنابع المعرفية.

ينقل المحدّث القمي عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرّضا عليه السلام: **يا بن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الله خلق آدم على صورته»** فقال عليه السلام: «**قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرَّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك و وجه من يشبهك، فقال: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فانَّ الله عزَّ وجلّ خلق آدم على صورته.**»[3]

ولعلّ من هذا الباب نهي الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام عن أن يسيء ذووه معاملة قاتله ابن ملجم، أو يمثل به بعد اجراء حكم الله فيه، بقوله: « .. **ولا يُمثّلَ بالرَّجل، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم و المُثلة و لو بالكلب العقور.**»[4]

حق التعليم

إنَّ العلم حياة للنفس الإنسانية، و حرمانها منه يعني انتقاص وامتهان كرامتها. و مما يؤكد حق التعلم و التعليم في الإسلام ما فعله النبي صلى الله عليه وآله بأسرى بدر، إذ جعل فدية الأسير تعليم عشرة من أبناء المسلمين.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى حق التعلم و التعليم في معرض تفسيره لقوله تعالى: «**وإذ أخذَ اللهُ ميثاق الذينَ أُوتوا الكِتابَ لتُبيننَّهُ للنَّاس و لا تكتُمونَهُ فنبذوهُ وراءَ ظُهورهم**»[5] فقال: «**ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم، حتّى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهّال.**»[6]

وقال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصَّدد: «**إن العالم الكاتم علمه يُبْعَث أنتن أهل القيامة ريحاً، تلعنه كلّ دابّة حتى دوابّ الأرض الصغار.**»[7]

مما تقدم، يمكن القول ان الأئمة عليهم السلام يرفضون مبدئياً احتكار العلم و يؤكدون ضرورة بذله لطالبيه. أما في وقتنا الحاضر فتقوم دول و مؤسسات تدّعي التحضر باحتكار العلم و حجبه عن الآخرين أو المتاجرة ببيعه بأغلى الاثمان أو استخدامه كسلاح سياسي لتحقيق مآرب خاصة. و الحال ان العلم هبة إلهية و نعمة شرَّف الله تعالى بها الإنسان على باقي المخلوقات و قد أوجب الله تعالى على العلم زكاة و زكاته نشره. و قد بين الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق، حق المتعلم على المعلّم بقوله: «**أمّا حق رعيّتك بالعلم، فأنْ تعلم أنّ الله عزّ وجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك الله من العلم و فتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم النّاس و لم تخرق بهم و لم تضجر عليهم، زادك الله من فضله و إن أنت منعت النّاس علمك و خرقت بهم عند طلبهم العلم، كان حقّاً على الله عزّ و جل أن يسلبك العلم و بهاءه و يسقط من القلوب محلّك.**»[8]

و بالمقابل حدّد حق المعلّم على المتعلم بقوله: «**حق سائسك بالعلم التّعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الاستماع إليه و الإقبال عليه و أن لا ترفع عليه صوتك و لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يُجيب و لا تُحدّث في مجلسه أحداً و لا تغتاب عنده أحداً و أن تدفع عنه إذا ذُكر بسوء و أن تستر عيوبه و تظهر مناقبه و لا تجالس له عدوّاً و لا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته و تعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس..**»[9]

الهوامش:

١. سورة الإسراء، الآية ٧٠.
٢. سورة الحجرات، الآية ١٣.
٣. الشيخ عباس القمي، «سفينة البحار»، بيروت، دار المرتضى، ج ٢، ص ٥٥.
٤. «نهج البلاغة»، شرح الشيخ محمد عبده، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٢ هـ.ق.، ص ٥٩٤.
٥. سورة آل عمران، الآية ١٨٧.
٦. العلامه المجلسي، «بحار الانوار»، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ.ق.، ج ٢، ص ٢٣.
٧. نفس المصدر، ج ٢، ص ٧٢.
٨. نفس المصدر، ج ٢، ص ٦٢.
٩. حسن السيد علي القبانچي، «شرح رسالة الحقوق»، طهران، مؤسسة اسماعيليان، ج ١، ص ٤٠٩.

المصدر: «الحقوق الإجتماعية في الإسلام»، عباس ذهيبات، مركز الرسالة، ١٤١٧ هـ.ق.، صص ١٧–٢٠.

أدلّة القائلين بتحريم البناء على القبور

اختلف المسلمون في أمر البناء على قبور الأنبياء و الأولياء والطواف حولها و اتخاذها مساجد و محلًا للعبادة.
و استدلّ القائلون بتحريمها بروايات أهمّها مايأتي:

أ) عن عليّ عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في جنازة، فقال: «**أيّكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره، ولا قبراً إلّا سوّاه، ولاصورة إلّا لطخها؟**» فقال (رجل): **أنا يا رسول الله، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع**. فقال عليّ بن ابى طالب عليه السلام: «**أنا أنطلق يا رسول الله.**»
قال: «فانطَلَق». فانطلَق، ثمّ رجع، فقال: **يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلّا كسرته، ولا قبراً إلّا سوّيته، ولا صورةً إلّالطختها**.
وقد تكرّر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتمّ لفظ منه .[1]

ب) رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.**»[2]
و في وراية أخرى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله شخّص الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد و قال قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[3]

ج) استدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في نهي النساء عن زيارة القبور بما جاء في الروايات الآتية: في «سنن» **ابن ماجة** و **الترمذي** و **أبي داود** بسندهم عن **أبي هريرة** و **حسان** و **ابن عباس**: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن زوّارات القبور.[4]

ما هو منشأ صدور هذه الروايات؟

علّة الروايات الأولى

أوّلًا: إنّ أهل «المدينة» بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول صلى الله عليه وآله بادى ء ذي بدء **مصعب بن عمير**، يُعلّم من أسلم منهم ما ورد من أحكام الإسلام يوم ذاك. ولما وفدوا إلى الحجّ، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً، ولم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وآله إليهم، وتبعه الإمام عليّ عليه السلام بعد ثلاث أو أكثر، و قصّة ورود المدينة بعد ذلك مشهورة. وتدرّج الرسول صلى الله عليه وآله في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ودخل أهل المدينة كلّهم في الإسلام تدريجياً. فمتى كان إرسال النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام عليّ عليه السلام من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوّي القبور ويلطخ الصور، كالحاكم الذي لا رادّ لأمره؟ أضف إليه أنّ محتوى الخبر أنّ المرسل الأوّل ذهب، وهم في تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثمّ أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة، فكيف يتمّ ذلك!؟

ثانياً: وفي بقية الحديث أنّ الإمام علياً عليه السلام قال لأبي **الهياج الأسدي**: «**أبعثك فيما بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرني أن اسوّي كلّ قبر وأطمس كلّ صنم .**»[5] ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلّا في عصر خلافته، وعليه يتّجه هذا السؤال: متى كان

إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟ أفي عصرخلافته وبعد الفتوحات الإسلامية و بعد زمن الخلفاء الثلاثة، أم قبله؟ و إلى أي بلد بعث الإمام عليّ عليه السلام أبا الهياج لتهديم القبور و طمس الأصنام؟
و أخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول صلى الله عليه وآله و الإمام علي عليه السلام– إن صحّ الخبران– بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، فكيف يدلّ ذلك على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟

علّة الروايات الثانية

أوّلًا: **في أمر قبور أنبياء بني إسرائيل**: جاء في الإصحاح الخامس و العشرين من سفر التكوين ما موجزه: توفي إبراهيم و دفنه إسحاق و إسماعيل في مغارة المكفيلة في حقل **عفرون بن صوحر الحثي** امام ممرا و دفنت فيها سارة. و في الإصحاح الخامس و الثلاثين ما موجزه: لما توفي **إسحاق** حمله إبناه **عيسو** و **يعقوب** و دفناه في ممرا و التي هي **حبرون**.
و في «الإصحاح الخمسين»: **لمّا توفي يعقوب بمصر حمله ابنه يوسف إلى مغارة مكفيلة و دفنه إلى جنب جده و أبيه**. و في إصحاح العشر من سفر العدد: **أنّ هارون توفي و دفنه أخوه موسى في رأس جبل هور**.
و في الإصحاح الرابع و الثلاثين من «سفر التثنية»: **أنّ موسى عليه السلام مات في أرض مواب و دفن في الجواء مقابل بيت فغور و لم يعرف إنسان قبره إلى اليوم**. و في الإصحاح الرابع و العشرين من «سفر يوشع»: **فدفنوه في جبل افرايم و دفن عظام يوسف في شكيم و لم** يذكر مدفن داود وسليمان عليهما السلام في أسفار التوراة.
و قال صاحب كتاب «قاموس الكتاب المقدس» في ترجمة صهيون: **لم يعرف مدفن داود و سليمان**.
وجاء في مادة الخليل في «معجم البلدان»:
الخليل اسم موضع و بلدة فيها حصن و عمارة و سوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض، و هناك مشهد و زوار و قوام في الموضع وضيافة للزوار، و بالخليل سمي الموضع و اسمه الأصلي حبرون وقيل حبري.
و في التورية أنّ الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحثي موضعاً بأربعمائة درهم فضة و دفن فيه سارة، و قد نسب إليه قوم من أصحاب الحديث و هو موضع طيب نزه روح أثر البركة ظاهر عليه، و يقال إنّ حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام.
و قال **الهروي**: **دخلت القدس في سنة ٥٦٧ هـ– و اجتمعت فيه و في مدينة الخليل بمشايخ حدثوني أن في سنة ٥١٣ هـ– في أيام الملك برديول انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم و إسحاق ويعقوب عليهم السلام و قد بليت أكفانهم و هم مستندون إلى حايط و على رؤوسهم قناديل و رؤوسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم ثمّ سدّ الموضع.**
قال: و قرأت على السلفي أنّ رجلًا يقال له الأرمني قصد زيارة الخليل و أهدى لقيّم الموضع هدايا جمة و سأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام فقال له: أما الآن فلا يمكن، لكن إذا قمت الى أن ينقطع الجثل و ينقطع الزوار فعلت فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك و أخذ معه مصباحاً و نزلا في نحو سبعين درجة إلى مغارة واسعة الهواء يجري فيها و بها دكة عليها إبراهيم عليه السلام ملقى وعليه ثوب أخضر و الهواء يلعب بشيبته و إلى جانبه إسحاق ويعقوب، ثمّ أتى به إلى حائط المغارة فقال له: إنّ سارة خلف هذا الحائط فهمّ أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول: إيّاك والحرم، قال فعدوت من حيث نزلت.
و جاء في الجزء الأول من «تاريخ ابن عساكر» ما موجزه: **عندما كانوا يحفرون بعد سنة ٨٦ هـ– جامع دمشق بأمر الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦ هـ–) وجدوا رأس يحيى بن زكريا في سفط في صندوق تحت ركن من أركان القبّة، فجعلوه تحت عمود من الأعمدة مسفّط الرأس.**
و لم يرد في التوراة و غير التوراة ذكر قبور سائر أنبياء بني إسرائيل، و لم يعرف مدافن: لوط، و اليسع، يوشع، و أيوب، وعزير، عزرا، و زكريا عليهم السلام؛ أمّا عيسى بن مريم عليه السلام فقد رفعه الله إليه.
كانت تلكم أخبار قبور أنبياء بني إسرائيل – اليهود – و لم نر ولم نسمعو لم يكتب أحد أنّ اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم وثناً. و أنّ اتّخاذ القبر وثناً لا يصدق على احترام القبر و زيارة القبر، فإنّ اتّخاذه وثناً يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصلوات، فأين هذا من ذاك؟

ثانياً: **معبد اليهود – بني إسرائيل– و بيت عبادتهم**: كان بيت عبادة اليهود– بني إسرائيل– يسمّى بخيمة الاجتماع و فيها «تابوت العهد».
و جاء في الإصحاح ٢٥– ٢٨ من «سفر الخروج» كيف أمر الله نبيه موسى بصنعهما. و جاء في الإصحاح ٢٩– ٣٠ و هم في «صحراء سيناء» كيف أمر الله بني إسرائيل بالتعبّد في خيمة الاجتماع كما يرى تصويرهما نقلًا من قاموس الكتاب المقدس. و كان بنو إسرائيل يحملونهما معهم أينما حلّوا، حتى بلغوا أراضي «فلسطين»، و بدأ داود عليه السلام يتهيأ لبناء معبد لهم على غرار خيمة الاجتماع و بناه بعده سليمان و نقل إليه خيمة الاجتماع وتابوت العهد.[6]
و هكذا نجد أن لليهود– بني إسرائيل– كان خيمة للعبادة منذ كانوا في صحراء سيناء، و لما استقروا في فلسطين بنى لهم سليمان معبداً خاصاً– هيكل سليمان– نقل إليها خيمة عبادتهم و تابوت العهد.
و ليس مورد الشك في كلّ ما ذكرناه، و ما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله– معاذ الله– و إنّما البحث يجري حول رواة الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ و السهو و النسيان.
كان ما ذكرناه أدلّة من رأى البناء على القبور مخالفاً للشّريعة الإسلامية و جوابها.
و في ما يأتي أدلّة من رأى ذلك موافقاً للشريعة الاسلامية.

أدلة من رأى جواز اتخاذ مقابر الأنبياء مساجد و أماكن للعبادة

لقد مرّ بنا في بحث الاحتفال بذكرى الأنبياء و الصالحين، كيف ينشر الشؤم و البركة على الزمان و المكان بمناسبة ما جرى على عباد الله في كلّ منهما، و في هذا البحث نرجع إليه و نضيف عليه في ما يأتي بإذنه تعالى و نقول:

أوّلًا: من كتاب الله

يستدلّ من يرى صحة اتخاذ مقابر الأنبياء محلًا للعبادة بقوله تعالى:

أ) «**و اتّخذوا من مَقامِ إبراهِيمَ مُصَلًّى** .»[7]

ب) بما أخبر عن قصة أصحاب الكهف و قال تعالى: «**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً**.»[8]

و كان خبر الأول ما مرّ بنا في كرّاس بحث (الاحتفال بذكرى الأنبياء و عباد الله الصالحين) و رواه **البخاري** في صحيحه وقال ماملخّصه: **إنّ إسماعيل و إبراهيم لمّا كانا ينبنيان البيت جعل إسماعيل يأتي بالحجارة و إبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء إسماعيل بهذا الحجر له فقام عليه و هو يبني و إسماعيل يناوله الحجارة، وذلك هو مقام إبراهيم عليه السلام الذي أمرنا الله أن نتخذه مصلى و محلًا للعبادة.**[9]

و خبر الثاني كما جاء في التفاسير ما موجزه: أنّ أصحاب الكهف كانوا فتية من خواص دقيانوس، الملك الذي ادّعى الربوبية، آمنوا بربهم سرّاً و فروا من ملكهم و التجأوا إلى الكهف، فضرب الله على آذانهم و ألقى عليهم النعاس مئات السنين، ثمّ أيقضهم فبعثوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم منها بطعام يطعمونه، فانكشف أمرهم لأهل المدينة بسبب نقدهم الذي كان يعود زمانه إلى ما قبل مئات السنين، و كان أهل المدينة يومذاك مؤمنين،[10] وقد بلغهم خبر خروج الفتية المؤمنة من بلدهم و الذين فروا بدينهم من ملكهم، و لما علموا من الفتى مكانهم بادروا إلى الكهف و بلغ الفتية ذلك و كرهوا أن يعودوا إلى بلدهم، فدعوا الله يعيدهم إلى ما كانوا عليه، فأعادهم الله نياماً مرة ثانية كالأموات فتنازع أهل المدينة في ما يعملون معهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجداً.

نتيجة البحث

في الآية الأولى أمرنا الله تعالى أن نتخذ من موطىء قدم إبراهيم عليه السلام مصلّى نعبد الله خلفه، و ليس ذلك من الشرك بالله في شي ء، بل هو توحيد لعبودية الله و طاعة له.

و في الآية الثانية أخبرنا الله تبارك و تعالى عن المؤمنين الذين قرّروا أن يتّخذوا من مضجع الفتية المؤمنة مسجداً يسجدون لله سبحانه فيه و يعبدونه و هم مؤمنون و ليسوا بمشركين و لم يذمّهم الله تعالى على ذلك. كان ذلكما الموردان في كتاب الله.

ثانياً: يستدلّون من سنّة الرسول صلى الله عليه وآله

أ) بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بزيارة القبور بعد نهيها، كما جاء في «صحيح مسلم» و **النسائي** و **ابن ماجة** و **الترمذي** و «موطأ مالك» عن **بريدة** عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها... الحديث .[11]

و في آخر الحديث عن سنن أبي داود: «**فإنّ في زيارتها تذكرة**»، و في سنن ابن ماجة عن **ابن مسعود:** أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تزهد في الدنيا و تذكر في الآخرة.**»[12]

ب) ما جرى للأنبياء و المرسلين عليهم السلام مع قبورهم في مكة و المدينة منذ عهد إسماعيل حتى عهد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله كما يأتي أخبارها:

١- في «مكة» كان الطائفون حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل عليه السلام و يتمسّحون بجداره، و فيه قبر إسماعيل عليه السلام و أمّه **هاجر** عليها السلام، كما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية: فقد ورد في «سيرة ابن هشام» و«تأريخ الطبري» و**ابن الأثير** و**ابن كثير**، واللفظ لابن هشام: **ودفن إسماعيل– في الحجر مع امّه هاجر. وفي لفظ ابن الأثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر امّه في الحجر.**[13]

وروى **ابن سعد** في «طبقات»ه وقال: **إنّ إسماعيل لمّا بلغ عشرين سنة توفّيت امّه هاجر وهي ابنة تسعين سنة، فدفنها إسماعيل في الحجر. وإنّ إسماعيل توفّي بعد أبيه، فدفن في الحجر ممّا يلي الكعبة مع امّه هاجر. وفي رواية بعدها: قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت .**[14]

وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجزه: **دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر.**[15]

و يرى حجر إسماعيل في التصاوير الآتية و حوله الطائفون والمصلون: وقد وصف ابن جبير قبري إسماعيل وامّه هاجر في رحلته وقال: **و تحت الميزاب في صحن الحِجْر، بمقربة من جدار البيت الكريم، قبرإسماعيل عليه السلام وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلا شكل محراب تتّصل بها رخامة خضراء مستديرة، وكلتاهما غريبة المنظر، فيهما نُكت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلا كأنّها تجزيع، وهي أشبه الأشياء بالنكت التي تبقى في البيدق من حلّ الذهب فيه. وإلى جانبه ممّا يلي الركن العراقي قبر امّه هاجر رضي الله عنها، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف. يتبرّك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحِجر، وحُقّ لهم ذلك لأنّهما من البيت العتيق، وقد انطبقا على جسدين مقدّسين مكرّمين، نوّرهما الله، ونفع ببركتهما كلّ من صلّى عليهما. وبين القبرين المقدّسين سبعة أشبار.**[16]

و روى **عبد الرحمن بن الجوزي** في باب ذكر أعيان المدفونين بالحرم من كتابه،[17] و روى عن **صفوان بن عبد الله الجمحي** أنّه قال: **حفر ابن الزبير فوجد فيه سفطاً من حجارة أخضر، فسأل قريشاً عنه فلم يجد عند أحدهم فيه علماً، فأرسل إلى أبي فسأله فقال: هذا قبر إسماعيل عليه السلام، فلا تحركه، فتركه.**

و قال ابن الزبير: هذا المحدودب يشير إلى ما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام قبور عذارى بنات إسماعيل.

و ورى أنّ ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي. و في باب ذكر باب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام من المسجد الحرام، من أخبار مكة في قديم الدهر و حديثه، لأبي عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي، توفي بعد سنة ٢٧٢ هـ– ط. بيروت سنة ١٤١٤ هـ–، روى أنّ ابن الزبير قال: **إنّ هذا المحدودب الذي يلي الركن الشامي قبور عذارى بنات إسماعيل. قال ابن أبي عمر في حديثه: فسئل سفيان الراوي أي مكان هو؟ فأشار بيده إلى الحجر مستقبل الركن الغربي الذي يلي الركن اليماني دار العجلة.**

كان ذلكم ما جاء في كتب مدرسة الخلفاء؛ و جاء في كتب الحديث بمدرسة أهل البيت عليهم السلام ما يأتي:

ورد في «الكافي» للكليني وكتاب «من لا يحضره الفقيه» و«علل الشرائع» للصدوق و«الوافي» للفيض الكاشاني و «البحار» للمجلسي واللفظ للأوّل: **فيه – أي في الحجر – قبرهاجر وقبر إسماعيل عليه السلام.**[18]

وفيها أيضاً: **وفيه– أي في الحجر– قبور أنبياء.**[19]

وورد أيضاً في الكافي والوافي والبحار: **ودفن في الحجر، ممّا يلي الركن الثالث، عذارى بنات إسماعيل عليه السلام.**[20]

كانت تلكم أخبار قبور الأنبياء و الأولياء في مكة، وفي ما يأتي نورد بعض أخبار قبورهم في غير مكة.

١. قبر أمّ النبي صلى الله عليه وآله في الأبواء وزيارة النبي صلى الله عليه وآله لقبرها

جاء في ترجمة الأبواء من «معجم البلدان»: **الأبواء قرية من أعمال الفُرْع من المدينة بينها و بين الجُحْفَة مما يلي ثلاثة و عشرون ميلًا. و بالأبواء قبر آمنة بنت وهب أمّ النبي صلى الله عليه وآله و كان السبب في دفنها هناك أنّ عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة فكانت زوجته آمنة بنت وهب تخرج في كلّ عام إلى المدينة تزور قبره فلما أتى على رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين خرجت زايرة لقبره و معها عبد المطلب و أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها.**[21]

و في تاريخ ابن عساكر: **و كانت آمنة بنت وهب أم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت برسول الله صلى الله عليه وآله المدينة على أخواله من بني عامر بن النجار ثمّ صدرت به راجعة إلى مكة، فتوفيت بالأبواء بين مكة و المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وآله ابن ست سنين .**[22]

و جاء تفصيل الخبر بطبقات ابن سعد و قال في آخره ماموجزه: فلمّا مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية بالأبواء أتى قبر أمّه آمنة فأصلحه و بكى عنده و بكى المسلمون لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله. و جاء خبر بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر أمه و بكاء الصحابة في سائر كتب الحديث[23] – أيضاً–.

٢. قبر رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة

في طبقات ابن سعد و سيرة ابن هشام ما موجزه: **دفن الرسول صلى الله عليه وآله في بيته الذي قبض فيه و في نفس الغرفة التي توفي فيها، ثمّ دفن بعد ذلك كل من الخليفة أبو بكر و الخليفة عمر فيها، و ثمّ بني على الغرفة القبة الخضراء، كما يشاهد ذلك في التصوير الآتي: له شفيعاً أو شهيداً...**[25]

٣. مَن زار قبر الرسول صلى الله عليه وآله من أهل البيت و الصحابة

أوّل مَن زار قبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام: روى **ابن الجوزي** بسنده عن علي عليه السلام قال: لما رمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره، فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينها و بكت و أنشأت تقول:

ماذا على مَن شَمّ تربة أحمد
أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائبٌ لو أنّها
صبّت على الأيّام عدن لياليا[26]

و في رواية... **صرن لياليا.**

زار الصحابي أبو أيوب الأنصاري قبر الرسول صلى الله عليه وآله و وضع وجهه عليه كالآتي: في «مسند أحمد» و «مستدرك الحاكم» و «مجمع الزوائد» و اللّفظ لأحمد و الحاكم بسندهم قالا: أقبل مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله و لم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله و لكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.**»[27]

الصحابي بلال: روي أنّ بلالًا أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله و جعل يبكي عنده و يمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن و الحسين فجعل يضمّهما و يقبّلهما.[28]

معاذ بن جبل: عن عمر بن الخطاب: أنّه خرج يوماً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي صلى الله عليه وآله يبكي، فقال: **ما يبكيك؟** قال: **يبكيني شي ء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله**... الحديث.[29]

خلاصة البحوث و نتائجها

استدلّ القائلون بتحريم البناء على قبور الأنبياء و الأولياء واتخاذها مساجد و معابد و الطواف حولهما كما روي:

أوّلًا: أنّ الإمام علي عليه السلام قال لأبي الهياج الأسدي: أبعثك في ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في جنازة فقال:: «أيّكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره و لا قبراً إلّا سواه و لا صورة إلّا لطخها»، فانطلق رجل لذلك و هاب أهل المدينة و رجع خائباً، فذهب الإمام علي و أنجز كلّ ذلك!

لست أدري كيف لم ينتبه المستدلّون بهذه الرواية بأنّ الرسول ﷺ هل كان في تشييع جنازة بمكة و أرسل مَن أرسله إلى المدينة و رجع خائباً منها ثمّ أرسل بعده ابن عمه علي عليه السلام ففعل كلّ ذلك؟! أم كان في المدينة؟! و كم استغرق زمن التشييع الذي ذهب الأول فيه و عاد خائباً و ذهب ابن عمّ الرسول ﷺ فسوّى كل القبور و لطخ كلّ الصور و كسر كلّ الأوثان؟ و هل كان أصحاب تلك الأوثان مسلمين؟ إذاً فكيف كانوا يحتفظون بالأوثان؟! و إن كانوا مشركين فكيف استسلموا للأمر بمجرد ذهاب ابن عمّ الرسول ﷺ إليهم و لابدّ أن يكون زمان صدور هذا الحكم لأبي الهياج من ابن عمّ الرسول ﷺ في عصر خلافته ليصحّ منه صدور الحكم في شأن أهل بلد يحكمه، أي يكون زمان صدور هذا الحكم بعد زمان حكومة الخلفاء الثلاثة و لست أدري هل كان بقي يومذاك في بلاد المسلمين وثن كي يكسره أبو الهياج؟ لست أدري!

ثانياً: استدلّوا بما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا تتّخذوا قبري وثناً كما اتّخذ اليهود قبور أنبيائهم وثناً». لست أدري متى اتّخذ اليهود قبور أنبيائهم وثناً؟ فإنّهم بعد أن خرجوا من مصر كانت لهم خيمة في التيه للعبادة، و في زمن سليمان بنى لهم هيكل سليمان معبداً كما كان شأن مسجد الرسول ﷺ.

و أمّا قبور أنبيائهم فقد مرّ بنا أنّ بعضهم لم يعرف أين دفنوا، وبعضهم كانت قبورهم في أقبية بجوف أرض لم يعرف أماكنها غير أفراد معدودين.

و ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه لعن زوّارات القبور، فيرفعها الروايات الصحيحة المتضافرة أنّه ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها...**»

إذاً فقد كان أوّل القبوريين- حسب تعبير البعض- رسول الله ﷺ ثمّ من بعده بضعته و صحابته ثمّ نحن، و لنا جميعاً برسول الله ﷺ أسوة و قدوة.

و لو يُسمح لنا اليوم لاتّبعنا سنّة الرسول ﷺ في البكاء على قبور الأنبياء و الأولياء و ترميمها و زيارة قبره ﷺ خاصّة، واقتدينا بصحابيّه البرّ أبي أيّوب (رض) و وضعنا وجهنا على قبره ﷺ، و ببضعته فاطمة عليها السلام و شممنا تراب قبره و قلنا:

ماذا على مَن شَمّ تربة أحمد
أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

و لكن ماذا نقول و في العين قذى و في الحلق شجى، و إنّا لله و إنّا إليه راجعون.

الهوامش:

١. «مسند أحمد»، ج ١، صص ٨٧، ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١١١، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥ و ١٥٠. و«مسند الطيالسي»، ح ٩٦ و ١٥٥.
٢. «مسند أحمد»، ج ٢، ص ٢٤٦.
٣. «مسند أحمد»، ج ٢، ص ٢٨٥.
٤. «سنن ابن ماجة»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢ هـ.ق. ج ١، ص ٥٠٢ ح ١٥٧٦؛ و «سنن أبي داود» عن ابن عباس كتاب الجنائز باب زيارة النساء للقبور، دار إحياء السنة النبوية، ج ٣، ص ٢١٨ ح ٣٢٣٦؛ و «مسند أحمد»، الباب الثالث في جوامع المناسك و أسرار بعضها، قاهرة، الميمنية، ١٣١٣ هـ.ق.، ج ٢، صص ٣٣٧، ٣٥٦؛ و«سنن الترمذي» أبواب الجنائز باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠ هـ.ق.، ج ٢، ص ٢٧٦.
٥. «مسند أحمد»، ج ١، صص ٨٩ و ٩٦.
٦. راجع سفر الخروج، الاصحاح ٤٠: ٣٥- ٣٨؛ و سفر الاعداد الاصحاح ٣٥- ٣٨.
٧. سورة البقرة، الآية ١٢٥.
٨. سورة الكهف، الآية ٢١.
٩. «صحيح البخاري»، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ج ٢، صص ١٥٨ و ١٥٩.
١٠. راجع تفسير الآيات في كتب التفسير، كـ«تفسير الطبري»، ج ١٥، صص ١٣٢- ١٤٩، و«تفسيرالقرطبي»، ج ١٠، ص ٣٧٩، و«تفسير ابن كثير»، ج ٥، صص ١٢١- ١٢٨.
١١. «صحيح مسلم»، كتاب الجنائز باب زيارة القبور، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج ٢، ص ٦٧٢؛ «سنن النسائي»، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج ٤، ص ٨٩؛ «سنن ابن ماجة»، كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٢ هـ.ق.، ج ١، صص ٥٠٠- ٥٠١؛ «سنن الترمذي»، باب الجنائز، المطبعة المصرية بالأزهر، ج ٤، ص ٢٧٤.
١٢. «سنن ابن ماجة»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، ج ١، ص ٥٠١، ح ١٥٧١.
١٣. راجع ذكر خبر إسماعيل عليه السلام وولده في كلّ من «سيرة ابن هشام»، طباعة مصر، ١٣٥٥ هـ.ق. ج ١، ص ٦. و«تأريخ الطبري»، طباعة اوربا، ج ١، ص ٣٥٢؛ و«تأريخ ابن الأثير»، طباعة اوربا، ج ١، ص ٨٩.
١٤. لخّصنا روايات ابن سعد الثلاث من «طبقات»، ج ١، ص ٢٥.
١٥. الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، تصحيح هنري ماسة، الجزائر، مطبعة جول كريونل، ١٩٣١ م.، ص ١١٩.
١٦. ابن جبير هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، البلنسي الأصل، الغرناطي الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأوّل سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ-، وتوفّي بالإسكندرية ليلة الأربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ-. وكان أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً، سريّ النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه والحديث. ورحلة ابن جبير: كتاب وصف فيه ابن جبير رحلة قام بها للحجّ، استغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً، من يوم الإثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨ هـ-، إلى يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرّم ٥٨١ هـ-، وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها. ووصف هذا الرحالة المدن التي مرّ بها، والمنازل التي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعاً. وقد نقلنا ما أوردناه هنا من طباعة دار مصر للطباعة عام ١٣٧٤ هـ.ق.، تحقيق الدكتور حسين نصار، ص ٦٣، ورجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.
١٧. ابن الجوزي، «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن»، رياض، دار الراية للنشر، ١٤١٥ هـ.ق.، ص ٢١٨.
١٨. باب علل الحجّ، ح ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ هـ.ق.، ج ٢، صص ١٢٥- ١٢٦، وباب نكت في حجّ الأنبياء والمرسلين، ح ٨، ج ٢، ص ١٤٩. و«الوافي»، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل، ج ٨، ص ٢٨.
١٩. «فروع الكافي»، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم عليه السلام، ح ١٥، ج ٤، ص ٢١٠.
٢٠. نفس المصدر.
٢١. «معجم البلدان»، ج ١، ص ١٠٠.
٢٢. «مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر»، ج ٢، ص ١٠٠.
٢٣. «طبقات ابن سعد»، ج ١، ص ١١٦، و «سنن النسائي»، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك، ج ١، ص ٢٦٧؛ و «سنن أبي داود»، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ٣٢٣٤، ج ٣، ص ٢١٨.
٢٤. «طبقات ابن سعد»، ج ٢، صص ٢٩٢- ٢٩٤؛ و «سيرة ابن هشام»، ج ٤، ص ٣٤٣.
٢٥. «مسند الطيالسي»، طباعة حيدرآباد، ١٣٢٦ هـ.ق.، ص ١٢؛ و «كنز العمال»، طباعة حيدرآباد الدكن، ج ٢٠، ص ١٦١؛ و في «مختصر تاريخ دمشق»، ج ٢ف ص ٤٠٦.
٢٦. «إرشاد الساري للقسطلاني»، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٢، صص ٤٠٦- ٤٠٧؛ و«الوفاءبأحوال المصطفى لابن الجوزي»، بيروت، دار المعرفة، ج ٢، ص ٨٠٤؛ و «مثير الغرام الساكن»، ص ٣٠٠؛ و «وفاء الوفاء لنور الدين السمهودي»، ج ٤، ص ١٤٠٥.
٢٧. «مسند أحمد»، ج ٥، ص ٤٢٢؛ و «المستدرك للحاكم»، كتاب الفتن، ج ٤، ص ٥١٥؛ و «مجمع الزوائد كتاب الخلافة باب ولاية المناصب غير أهلها»، بيروت، دار الكتاب، ج ٥، ص ٢٤٥.
٢٨. «تاريخ ابن عساكر»، في ترجمة ابراهيم بن محمد الأنصاري، بيروت، ١٤١٥ هـ.ق.، ج ٧، ص ١٣٧؛ و«سير أعلام النبلاء للذهبي»، ج ١، ص ٣٥٨ في ترجمة بلال؛ و«تهذيب الكمال للمزي»، ج ٤، ص ٢٨٩.
٢٩. «سنن ابن ماجة»، ج ٢، صص ١٣٢٠- ١٣٢١، كتاب الفتن، باب مَن ترجى له السلامة من الفتن.

المصدر: العلامة العسكري، سيد مرتضى، «على مائدة الكتاب السنة»، طهران، المجمع العلمي الاسلامي ، ١٤١٨هـ.ق.، ج ١٢، صص ٧-٤٧؛ بالتلخيص.

فضيلة التجمل و التزين

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
«ليتزيّن أحدكم لأخيه المسلم كما يتزيّن للغريب الّذي يحبّ أن يراه في أحسن الهيئة.»[1]

***

عن **يوسف بن إبراهيم** قال:
دخلت على أبي عبد الله عليه السلام و عليّ جبّة خزّ و طيلسان خزّ، فنظر إليّ، فقلت: **جعلت فداك عليّ جبّة خز و طيلسان خزّ، ما تقول فيه؟** فقال: **«و ما بأس بالخزّ؟»** قلت: **و سداة**[2] **أبريسم؟**[3] قال: **«لا بأس به.»**
و قد أصيب الحسين بن عليّ عليه السلام و عليه جبّة خزّ. إنّ عبد الله بن عباس لمّا بعثه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخوارج لبس أفضل ثيابه، و تطيّب بأطيب طيبه، و ركب أفضل مراكبه، فخرج إليه فوافقهم، فقالوا: **يا ابن عباس! بينا أنت خير النّاس إذ أتيتنا في لباس من لباس الجبابرة و مراكبهم؟** فتلا عليهم هذه الآية: **«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ»**[4و5]

***

عن **سفيان الثوريّ** أنه مرّ في المسجد الحرام فرأى أبا عبد الله عليه السلام و عليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال:
و الله لآتينّه و لأوبخنّه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه و آله مثل هذا اللّباس و لا عليّ عليه السلام و لا أحد من آبائك. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **«كان رسول الله صلى الله عليه و آله في زمان قتر**[6] **مقتّر.** و كان يأخذ لقتره و امتداره و إن الدّنيا بعد ذلك أرخت عزاليها[7] فأحقّ أهلها بها أبرارها.»
ثم تلا قوله تعالى: **«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ»** و نحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أنّي يا ثوري ما ترى عليّ عليه السلام من ثوب إنّما ألبسه للناس ثمّ اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثمّ رفع الثوب الأعلى و أخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظا فقال: **«هذا ألبسه لنفسي و ما رأيته للناس.»** ثمّ جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ خشن و داخل ذلك ثوب ليّن فقال: **«لبست هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسرّها.»**[8]

الهوامش:
١. «الوسائل»، ج ٣، ص ٣٤٤، باب ٤ من أبواب أحكام الملابس، ح ١.
٢. السداة جمع أسدية و هي في الثوب خلاف اللحمة و هو ما مدّ من خيوطه.
٣. الأبريسم: الحرير (فارسية).
٤. سورة الأعراف، الآية ٣٢.
٥. «البحار»، ج ٧٦، ص ٣٠٤، ح ١٨.
٦. قتر على عياله: أي ضيّق عليهم في المعاش.
٧. العزالي: جمع العزلاء و هو فم المزادة فقوله (أرخت) أي أرسلت يريد شدّة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادة.
٨. «الوسائل»، ج ٣، ص ٣٥٠، باب ٨ من أبواب أحكام الملابس، ح ١.

الوأد

«واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت»[5] كانت المظالم في زمن الجاهلية علت فوق الهامات، فلا رادع ولا مانع، وكان من جملتها وأو البنات، كي لا يؤسروا في الغزوات، لأن الغزو كان من شيمة الأعراب، فهذه الطائفة تغزوا تلك، وذي القبيلة تغزوا ذي، ونيران الحرب والجهل قد أحرق الطريّ واليابس، فأنجاهم الله برجل منهم، هو أشرف الخلائق من الأولين والآخرين، أبي القاسم الأمين، محمد الهاشمي العربي المكي المدني الابطحي التهامي، الذي قلب صفحة الشرك، والظلم، والكفر، والنفاق، الى التوحيد، والعدل، والايمان، والسلام، والإسلام، فلا جهل، ولا غزو، ولا وأد فالعلم حل مكان الجهل، والاستفرار حلّ مكان الغزو، والدّلال والمحبّة حلّت مكان الوأد، فجزاك الله يا رسول الله عنّا خيرا، صلّى عليك مليك السماء.

***

الوشّاء عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه و آله، فقال: اني قد ولدت بنتا، وربيتها، حتى اذا بلغت، فألبستها، وحلّيتها، ثم جئت بها الى قليب فدفعتها في جوفه، وكان آخر ما سمعت منها، وهي تقول: يا أبتاه! فما كفّارة ذلك؟ قال صلى الله عليه و آله: ألك أمّ حيّة؟ قال: لا، قال صلى الله عليه و آله: فلك خالة حيّة، قال: نعم، قال صلى الله عليه و آله: فأبررها، فانها بمنزلة الأم، يكفّر عنك ما صنعت، قال أبو خديجه: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى كان هذا؟ فقال عليه السلام: كان في الجاهليّة، وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين، فيلدون في قوم آخرين ....[6]

الهوامش:
٥. سورة الالتكوير، الآية ٨.
٦. الكافي، ج ٢، ص ١٣٠، باب البر، الحديث ٨.

المصدر: العلوي، السيد علي بن الحسين، «الأثر الخالد في الولد والوالد»، منشورات دار الذخائر.

رؤية اللّه في ضوء الكتاب والسّنة والعقل
القسم الثاني

دراسة أدّلة النافين

الآية الأولى: «**لا تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصارُ**»[1]. الاستدلال بالآية يتوقّف على البحث في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في بيان مفهوم الدرك لغةً.

الدرك في اللغة اللحوق والوصول. وأدركته ببصري أي رأيته. فالإدراك بالبصر: إلتحاق من الرائي بالمرئي بالبصر.

المرحلة الثانية: في بيان مفهوم الآية: أنّه إذا تعالى عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حيطة الأشياء، و اللطيف هو الرقيق النافذ في الشيء و الخبير من له الخبرة الكاملة، فإذا كان تعالى محيطاً بكلّ شيءٍ لرقّته ونفوذه في الأشياء، كان شاهداً على كلّ شيءٍ ومع ذلك فهو عالم بظواهر الأشياء وبواطنها من غيرأن يشغله شيء عن شيء أو يحتجب عنه شيء بشيءٍ، وإنّ لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهو يفيد الاستغراق أي لايدركه أحد من ذوي الأبصار.

الآية الثاني: «**وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**»[2] بيانها: أنّ الرؤية سواء أوقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهي نوع إحاطة علمية من البشر به سبحانه، وقد قال: «**وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**»[3] الآية الثالثة: «**قالَ لَنْ تَرانِي**»[4] المفهوم الصحيح للآية: هو تعاليه سبحانه عن الرؤية، وأنّ سؤاله الرؤية أمر عظيم فظيع لايمحى أثره إلاّ بالتوبة؛ وذلك لوجوه:

١. الإجابة بالنفي المؤبّد الدّال على عدم تحققها أبداً لا في هذه الدّنيا ولا في الآخرة.

٢. تعليق الرؤية على أمر غير واقع: علّق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل وبقائه على الحالة التي كان عليها عند التجلّي وعدم تحوّله إلى ذرّات ترابية صغار بعده، والمفروض أنّه لم يبق على حالته السابقة وبطلت هوّيته وصارت تراباً مدكوكاً، فإذا انتفى المعلّق عليه (بقاء الجبل على حالته) ينتفي المعلّق، وهو الرؤية.

٣. تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

تذكر الآية أنّ موسى لما أفاق فأوّل ما تكلّم به هو تسبيحه سبحانه وتنزيهه وقال: سبحانك؛ وذلك لأنّ الرّؤية لاتنفكّ عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص؛ فنزّهه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصديق لها.

٤. توبته لأجل طلب الرؤية: إنّ موسى بعد ما أفاق أخذ بالتنزيه أوّلاً والتوبة والإنابة إلى ربّه ثانياً، وظاهرالآية أنّه تاب من سؤاله، كما أنّ الظاهر من قوله «**وأنا أوّل المؤمنين**» أنّه أوّل المصدّقين بأنّه لايرى بتاتاً.

شبهات المخالفين

الشبهة الاولى

لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم، ولاشكّ في كون موسى عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى، وحيث سألها علمنا أنّ الرؤية جائزة على الله تعالى!

الجواب

أنّ القرائن تشهد على أنّه سأل الرؤية على لسان قومه حيث كانوا مصرّين على ذلك، انظر قوله سبحانه:«**قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ اَلسُّفَهاءُ مِنّا**»[5] ولقوله تعالى:«**فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اَللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ اَلصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**»[6] و توضيح ذلك: أنّ الكليم لما أخبر قومه بأنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، فاختارمنهم سبعين رجلاً لميقاته وسأله سبحانه أن يكلّمه؛ فلمّا كلّمه الله وسمع القوم كلامه، قالوا:«**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اَللّٰهَ جَهْرَةً**»[7] فعند ذلك «**فَأَخَذَتْهُمُ اَلصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**»[8]. فقد اتّضح ممّا ذكرنا عدم دلالة الآية على إمكان رؤيته سبحانه بطلب موسى عليه السلام.

الشبهة الثانية

إنّ تجلّيه سبحانه للجبل هو رؤية الجبل له، فلّما رآهُ سبحانه اندكّت أجزاؤه، فإذا كان الأمر كذلك ثبت أنّه تعالى جائز الرؤية، وأقصى ما يقال: إنّه تعالى خلق في ذلك الجبل الحياة والعقل والفهم، ثم خلق فيه الرؤية متعلّقة بذات الله.[9] لكن يلاحظ على هذا الكلام: ليس في الآية أي دليل عليه، وظاهر الآية أنّه سبحانه تجلّى للجبل وهو لم يتحمّل تجلّيه، لا أنّه رآه وشاهده! وأمّا التجلّي، فكما يحتمل أن يكون بالذات، كذلك يحتمل أن يكون بالفعل، فمن لم يتحمّل تجلّيه بفعله وقدرته، فالأولى أن لا يتحمّل تجلّيه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جدّاً أن يكون تجلّيه بآثاره وقدرته وأفعاله. لذا لايمكن التمسّك به وطرح الدلائل القاطعة عقلاً ونقلاً على امتناع رؤيته.

الهوامش:

١. سورة الأعراف، الاية ١٤٣.
٢. سورة الأنعام، الاية ١٠٣.
٣. سورة طه، الاية ١١٠.
٤. سورة طه، الاية ١١٠.
٥. سورة الأعراف، الاية ١٤٣.
٦. سورة الأعراف، الاية١٥٥.
٧. سورة النساء، الاية ١٥٣.
٨. سورة البقره، الاية٥٥.
٩. الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٤/٢٣٢.

المصدر: سبحانى تبريزى، جعفر، «تاريخ الشيعة و عقيدتهم»، مشعر، طهران، ١٤٢٩هـ.

الامامة في القرآن الكريم
القسم الرابع

قيل قد قسمنا الآيات التي تتحدث عن الامامة إلى طوائف عدة نتناولها بالتفصيل و بدأنا بدراسة الواقعة كما وردت في سورة البقرة والتدقيق في المعاني الواردة فيها و قلنا عدة المعاني.

العلم: أن العلم الذي تعلمه آدم من قبل الحق تعالى لم يكن بالتعليم الكسبي الحصولي إنما هو بالعلم الحضوري، وهو نوع من الارتباط والرقي للروح إلى عوالم عالية حيث ترتبط الروح بتلك العوالم العلوية عيانا وحضورا، والحديث هنا ليس في مقام الرسالة والنبوة بل في مقام الخلافة وخليفة الله.

إذن فالعلم المذكور هنا هو خارج حد الملائكة، لذا نفي التعليم عنهم حتى بعد إنباء آدم يدل على ان هذا المقام هو غير مقام النبوة بل هو مقام الامامة والخلافة كما ترتب عليه إطواع وإتباع الملائكة له.

ثم أن هذا التعليم لآدم كان قبل دخوله الجنة وقبل نزوله للأرض كما يتفق عليه المفسرون أي قبل أن يكون مقام النبوة لأدم، وقد يقال أن من إنبائه للملائكة يدل على كونه نبيا لهم لكن هذا ليس من قبيل النبوة الاصطلاحية للأرض حيث التكليف والعمل، وإنما الانباء هاهنا من قبيل التعليم اللدني الذي هو فوق مقام الملائكة.

ويذهب البعض إلى القول أن الخلافة التي جعلت عنوانا لهذا الموجود هي خلافة عن النسناس الأرضي وهذا خطأ فاحش بل بقرينة الانباء المزبور هو مقام خلافة الله عز وجل أي بمعنى الاقدار من قبله عز وجل.

ومما يدلل على أن العلم الوارد ليس علم النبوة والرسالة أن في هذا العلم لا يحتمل واسطة ملكية بين الله وبين آدم بينما في علم النبوة يحتمل واسطة الملك ويمكن وقوعها.

فهذه القرائن تدل على أن هذا العلم الذي تعلمه آدم نحو من العلم الحضوري الخاص، وأنه استحق به مقام الولاية والرتبة التكوينية، وهو فوق مقام النبوة والرسالة.

الإنباء: بناء على ما ذكرنا سابقا من أن استخدام الحق تعالى للالفاظ المختلفة ليس من باب التنوع اللفظي والنثر البلاغي، بل القرآن كتاب حقائق، وتغير اللفظ من موضع إلى آخر يدل على تغاير في المعنى الحقيقي المراد للحق تعالى.

فنلاحظ هنا أن الباري تعال أسند تعبيرين لهذه الاسماء أحدهما: وعلم آدم الاسماء كلها، والآخر: قوله للملائكة (أنبئوني) وأجابت الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمتنا) فأمر آدم بانبائهم باسمائهم، فالارتباط بين الحق تعالى وآدم كان بالتعليم أما عندما أخبر آدم الملائكة كان بالانباء. وهذا التغاير يدل على أن الملائكة لم ينالوا العلم الحقيقي بهذه الاسماء.

والسر في هذا التغاير هو أن التعليم عياني حضوري، والانباء إخبار من وراء حجب الصور والمفاهيم وما شابه ذلك، فإضافة آدم مع ربه من نحو العلم الحضوري، وأما الاضافة بينه وبين الملائكة فهي اضافة انباء وهي درجة نازلة عن العلم، ومن القرائن

على تلك المغايرة:

– أن الملائكة لو كانت قابلة لتعليم الاسماء لأصبحوا في الشرف سواء مع آدم، ولما كانت لآدم مزية عليهم فالملائكة لم يستحصلوا على ذلك العلم إلى آخر المطاف، خصوصا إذا لاحظنا أن الاهلية للخلافة غير منوطة بالاسبقية الزمانية للحصول على العلم بل الاهلية هي بالعلم وهي حاصلة لآدم.

– فاطلاع الملائكة لم يكن بالعلم اللدني ولو كان كذلك لما كانت حاجة لانباء آدم.

فالخلاصة أن الملائكة بعد إنباء آدم أصبح لديهم علما حصوليا بتلك المسميات.

غيب السماوات والأرض: ذكرنا في بحث الاسماء أن الاضافة في غيب السماوات هي اضافة لامية أي غيب للسماوات والارض، وقد جعل بعض العامة أن المراد بهذا الغيب هو ما كتمته الملائكة لكنه غير تام وذلك لأن قوله تعالى «... **وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**» (بقره/١٣٣) من عطف المغاير زيادة على الجملة السابقة إذ (ما تبدون) ليس من الغيب أصلا، وما كانت تكتمه هو أنها كانت ترى أنه لا يوجد من هو أقرب منها إلى الله كما يفهم من مفاضلتها ذواتها على مطلق من هو غيرها من المخلوقات، فليس هذا المراد من غيب السماوات والارض بل المراد منه أمر ليس بجزء من السماوات والارض.

ومقابل الاضافة اللامية التبعيضية أي خصوص غيب هو جزء من السماوات والارض وهو ينطبق عل الكونية المستقبلية لكن المورد ليس من هذه الموارد التي تكون الاضافة تبعيضية، وذلك لأنه مقام اظهار قدرته تعالى واحاطته وعجز الملائكة، وتمام العجز أن هذه الاسماء أمور غائبة عن العالم السماوي والارضي خارج محيط الكون، ومما يبعد معنى التبعيض وأن الغيب بمعنى المستقبل الذي هو جزء السماوات والارض أنه قد عرضهم على الملائكة فهي موجودات بالفعل لا مستقبلية، وهذا مما يعزز أيضا أن المراد غيب فعلي عن السماوات والارض، فإذن هي موجودات أحياء فعلية خارج إطار السماوات والارض.

يتبع...

المصدر: الشيخ محمد السند، «الإمامة الإلهية».